الإصدار: 105

ألوان في طيف الحياة

مجموعة قصصية

محمد ثابت توفيق

يهدى ولا يباع



ألوان في طيف الحياة

(مجموعة قصصية)

القَاصّ: محمد ثابت توفيق

الإصدار: 105 (يوليو 2014م / رمضان 1435هـ)

الإخراج الفني : محمود البـاز
محمود أبو الفضل

القَاصّ محمد ثابت توفيق:

من مواليد مصر، حاصل على الإجازة في الآداب، يعمل مُعِدًّا للبرامج بالتلفزيون المصري، وهو عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، واتحاد الكتاب المصريين.

صدر له حوالي ثلاثين كتاباً في مجال الرواية والقصة القصيرة وقصص التاريخ الإسلامي للفتيان والأطفال، منها: «من بعيد»، و«ربوة بأعلى المنحدر»، وسلسلة «الأوائل في الإسلام»، و«الفتوحات الإسلامية»، وغيرها...



نهـر متعـدد... متجـدد

مشروع فكري وثقافي وأدبي يهدف إلى الإسهام النوعي في إثراء المحيط الفكري والأدبي والثقافي بإصدارات دورية وبرامج تدريبية وفق رؤية وسطية تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

ص.ب: 13 الصفاة - رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

الهاتف: 22487310 (965+) - فاكس: 22445465 (965+)

نقال: 99255322 (965+)

البريد الإلكتروني: rawafed@islam.gov.kw

موقع «روافد»: www.islam.gov.kw/rawafed

تم طبع هذا الكتاب في هذه السلسلة للمرة الأولى،

ولا يجوز إعادة طبعه أو طبع أجزاء منه بأية وسيلة إلكترونية أو غير

ذلك إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

الطبعة الأولى - دولة الكويت

يوليو **2014** م / رمضــان **1435**هـ

الآراء المنشورة في هذه السلسلة لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

كافة الحقوق محفوظة للناشر

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الموقع الإلكتروني: **www.islam.gov.kw**

رقم الإيداع بمركز المعلومات: **2014/10**

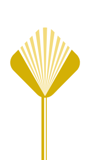
تم الحفظ والتسجيل بمكتبة الكويت الوطنية

رقم الإيداع: **2013 / 715**

ردمك: **978-99966-54-20-6**

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم



تصدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

تظل القصة الأسلوب الأنفع في رصد حركة الحياة الإنسانية وتتبع تفاصيل انعكاساتها على قيم الناس وسولكاتهم، وأثرها في آفاق رؤاهم ومشاعرهم. ومن هذا البعد، اكتسبت القصة قدرتها على أن تكون مجالا خصبا للاعتبار.

وتُعَدُّ القصة القصيرة من الفنون التي تتميز بسهولة عبارتها.. وعابرية مواقفها، ومحدودية أحداثها، وقلة أشخاصها، وإيجاز تفاصيلها.. مع تركيزها على عنصري الحبكة وحركية الإيقاع المتسارع للأحداث..

وتدخُلُ المجموعة القصصية «ألوانٌ في طيف الحياة» لمؤلفها القاصّ الأستاذ محمد ثابت توفيق، في صميم الأعمال الأدبية التي تتضمن السمات الفنية والخصائص الأسلوبية للقصة القصيرة المتميزة ذات المحور القيمي الواضح دون إغراقٍ في الغموض الرمزي؛ حيث راحت تعالج قضايا الحياة والإنسان من خلال خمس عشر قصة تمثل ألوانًا مختلفة من طيف حياتنا.

ويسر إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت أن تقدم هذه المجموعة القصصية إلى جمهور القراء الكرام ومتذوقي الأدب، إسهاما منها في مواكبة انعكاس الحياة، بمختلف تموجاتها الأدبية للمثقف العربي في كل مكان، سائلة المولى أن ينفع بها، وأن يجزي مؤلفها خير الجزاء...

إنه سميع مجيب.



القصة الأولى

نَفسٌ خضراء

نَفْسٌ خضراء

فيما كانت ضحكات السيدات تتوالى بصوت عالٍ.. وبينما تنساب النكات على أفواههنَّ.. كانت شفتا (الشيخ خضر) تنهمرانِ بالتمتمة لهنَّ بالهداية والاستغفار للّه تعالى عما يقلنّ:

- جاء باحثاً عن (الجامع) هاهنا!

كلمة كنَّ يتبادلن قولها باستغراب غير متناهٍ، فيما لم يزد الرجل الصالح على أن قال:

- وُجعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، صدق رسول اللّه ﷺ، وصدقت التربة التي يطأها هؤلاء غفلة واستهتارا...

ورغم أن مِسْحَةً من عدم الحياء البادي على وجوه النسوة إلا أنهنَّ غرقن في الصمت بل طأطأت الكثيرات منهن رؤوسهنَّ استسلامًا لإيقاع الحديث عن المسجد.. ذلك قد نسينه منذ أزمنة متفاوتة، بحسب كل واحدة منهن، ففيهنَّ من نسيته منذ عقود، ومنهنَّ من نسيته منذ سنوات قليلات، وبعضهنَّ ظننَّ في أنفسهنَّ فوات أمد عودته إليهنّ.

أما ذات الوجه الصبوح التي سَمَّيْنها وما يزلن ب-(الغرة) فهي الوحيدة التي جاءت على عجل، من مجلسها البعيد عنهنّ، قائلة في لهفة وشدة وحزم واضح:

- ماذا بكنَّ وأي مسجد هذا الذي جاء اسمه المبارك على هذه الشفاة؟

زاد صمتهنَّ، بل شعرتْ غير واحدة منهن بالمهانة الشديدة، أما الشيخ خضر فقد قال في ثقة وهو يتنفس الصعداء:

المسجد يا ابنتي هو الذي ينساب الآن عنه عبق أصوات قراءة القرآن الكريم تمهيداً للأذان ولصلاة الجمعة، أو لستنَّ من المقيمات في بلد الألف

مئذنة.. أو لستنَّ من خلق اللّه تعالى؟!

فوجىء الشيخ بجمع النسوة ينفض من حوله بسرعة ملحوظة؛ كأنهن يعاقبن أنفسهن على ما بدا منهن حيال الرجل الطيب الذي أوقعه قدره، لحكمة يعلمها اللّه تعالى، في حارتهنَّ الضيقة.

كان (الشيخ خضر) قد لبس الثياب البيضاء الخاصة بصلاة الجمعة وتطيب وسار للمسجد في دروب القاهرة، ولأنه عزم على نفسه أن يصلي كل جمعة، ما أمد اللّه في عمره، في مسجد مختلف منها، يتعرف على المزيد من إخوانه في الدين، داعياً اللّه تعالى أن يجعل هداية كثير من العصاة على يديه، فقد راح ينقب في هذا الحي الذي لا يعرف له اسماً، والبعيد عن مكان سكنه في القاهرة القديمة؛ راح يبحث عن مسجد جديد عليه لم يره من قبل إلى أن قادته قدماه إلى أولئك النسوة.

أما (الغِرة) أو المرأة التي دخلت الحي على حين غفلة من نسائه، تلك التي لايعلمن لها اسماً، وتبدي الملل بل القرف الشديد من الحي ونسائه كل آن، ولا ترحم واحدة منهن إذا ما تطاولت الكلمات فيما بينهنَّ إلى السباب ثم التشابك بالأيدي.. أما الغرة التي كن يحتجن على الدوام لأن يجتمعن في محاولةٍ لوضع حَدّ لتدخلاتها العنيفة كلما قامت مشاجرة بينها وبين إحدى نزيلات الحارة الضيقة المظلمة... حتى إنهن لطالما خفن عليها أن تموت ما بين أيديهنّ من كثرة ما ضربنها، أما الغرة تلك التي إن لم يتشاجرن معها انتحت عنهن وجلست تنظر لمن حولها في عتب شديد.. كُنَّ كثيراً ما لمحن قطرات أسفل عينيها حرن في تفسيرها أهي تنتمي لعالم الدموع أم لعامم العرق؟!..

أما المرأة التي لا يعلمن لها اسماً وكانت كلما استقبلت زبوناً من طالبي المتعة المحرمة، ونادراً ما كانت تفعل، تمزق على إثر رحيله من غرفتها ما تقاضته منه وترفع طرف ثوبها لتغطي وجهها، أما مَنّ أطلقن عليها الغِرة

فقد أخذتْ الرجل معها قائلة له:

- هل تُهْتَ يا عم الشيخ؟

- نعم يا بنتي..

توقفت عن السير تماماً وتهدج صوتها وغامت الرؤية أمامها قائلة في تعجب شديد:

- ابنتك؟!

أو تظنني أصلح لهذه النسبة لرجل صالح مثلك؟!

- نعم ومهما كانت ذنوبك فإن ربي يقبلك لو عُدتِ صادقة إليه، فلِمَ لا أسميك ابنتي؟

أو تظنني فاعلة؟!

وقف الرجل محدقاً في السماء قائلاً:

اللهم إنَّ في هذا اليوم الكريم المبارك ساعة إجابة؛ فإن كنتَ قد أنعمتَ علي بها فاجعلها لابنتي هذه، عافها من كل مكروه وسوء واشملها برحمتك، واجعل هدايتك تحل بقلبها يا عَفُوُّ يا كريم..

عندها رأتْ مَنْ عادت على استحياء من النسوة قطرات الدمع تتلألأ على محيا من كن يعرفنها ب(الغِرة).

أضاف الشيخ:

أأنا في حارة من تلك الحارات المرخصة؟

زاد بكاء المرأة حتى تحول لنحيب.. فقد كانت قدما الشيخ قد قادته لواحدةٍ من تلك الحارات التي كان الإنجليز إبان احتلالهم لمصر يخصصونها لنوع معروف من ظلم النفس..

أراد الشيخ المضي فأوقفت السيدة له عربة حنطور قائلة للحوذي:

خذه إلى المسجد الذي على يمين الطريق الصاعد.

ولما أن همت بدفع الأجرة أبى الشيخ في تصميم..

أما ما حدث عقب ارتفاع نداء الحق من نفس يوم الجمعة فقد شهدته النسوة في الحارة باستغراب وغيرة في نفس الوقت، إذ جاءت التي كانت تسمى الغِرة بكل ما تملك ثم سكبت عليه الكيروسين في قلب الحارة حتى إذا تفحم متاعها تدثرت بثوبين وخمار، وسارت في طريقها للمسجد أقصى اليمين في الطريق الصاعد لا تنظر خلفها، سِرْنَ وراءها حتى رأينها تخلع نعليها عند أعتابه، ولم تعد إليهنَّ مرة أخرى.

وفي الجمعة التالية بكت أكثر من واحدة منهنَّ لما جاءهنَّ الشيخ قبل الصلاة ليقول لهن كلمتين ثم يزجر الحوذي ليمضي به بحصانه بسرعة:

لقد كانت تلك المرأة تحمل نفساً خضراء تتوق للهدى؛ فما إن رأت من يشير إليها حتى تبعته.. فمن منكنَّ تملك شجاعة ومخزون خير مثلها؟... ثم مَضَى...



القصة الثانية

اتصالٌ علويّ

اتصال علوي

توقف لدى تليفون عمومي بالشارع متسائلاً عن سر توقفه!

راجع أرضية الشارع فوجدها كما هي ومثلما عهدها، عشرات السيارة تسير في الاتجاهين من حوله كما كانت على الدوام بلا أدنى تغيير، بل إن إيقاع سيرها في أحد أحياء العاصمة يكاد يجزم بأنه كما هو كما عهده مئات بل آلاف المرات، نفس زحام العائدين عند اشتداد المساء إلى عمق الشارع الرئيسي، والخارجين من الشارع في الاتجاه المضاد، لا شئ غريب.. يروحون ويذهبون، فهؤلاء آيبون لبيوتهم، وأولئك أزمعوا السفر أو قضاء مصلحة بعيد عن الحي الذي آنس إليه، حتى أصوات آلات التنبيه يكاد يجزم بأنها كما هي يقصر أمدها غالباً، هو.. هو ككل متغير في الحياة، كأكثر من مرة شاهد بأسى شديد حادثاً قريباً من هذا المكان أو حتى به، يبدو التأثر عقبه على جميع الوجوه لحظة انقلاب سيارة أو اصطدام أخرى بمار، وتتوقف لحظات السمر ما بين زوجة وزوجها أو ما بين صديق وآخر، أو لحظة انتظار الغرباء في سيارات الأجرة تطلعًا لمحطة الوصول...

يتوقف الشعور ب-(زهو) الحياة لدى الجميع، وتبدأ مسيرة المساعدة أو الانتظار لمقدم سيارة الإسعاف، والشعور بالألم على محيا الجميع.. وتلاشي الابتسامة حتى من فوق أفواه الصغار.. ولكن ما إن تمر الدقائق وتنمحي آثار الحادث حتى تعود الحياة لسابق عهدها لدى الجميع.

هكذا هي الحياة..

همس لنفسه:

تباغتنا بالحزن ثم ما نلبث أن ننساه، ولكنه يقدم الأبواب من جديد..

تدارك دمعة كادت تنبجس من عينيه لأحباب كانوا أقرب ما يكونون منه فَغيَّبهم الموت عنه، ولذكرى عزيزة على قلبه مع أحبة تاهوا عنه في زحام

الحياة أو هجروا أوطانهم لأوطان أخرى فلم يعد مسموحاً له أن يراهم كما يهوى، ولأمنيات طال عليه أمد العمر دون أن يحققها، ولأصدقاء ظنهم كذلك فاختاروا الصد عنه دون سبب واضح على الأقل بالنسبة إليه.

حاول أن يبتعد عن أحزانه.. نظر إلى المطعم ذي الفروع العالمية إلى جواره، فراعه كم المعلومات المنشورة عنه، وأنواع اللحوم التي يبيعها وهاله حجم الأضرار التي تسببها، ومقدار ما تحدثه في الجسم من تلف بسبب مكوناتها الغريبة وتدثرها بمكسبات الطعم السرية التكوين، ابتسم في مرارة متذكراً كلمات الإعلانات القائلة بأن مذاق هذه المأكولات السريعة التي يقدمها المطعم تجلب السعادة...

على بعد خطوات أخرى فرع لبنك عالمي... نظر مدققاً وتمتم: مهمة البنوك بشرط ألا تحول حياتنا لجزء منها، على بعد خطوات اخرى كانت لافتة الصيدلية تعاني من خبو أضوائها مؤذنة بإغلاق الأبواب، انساب الصوت بداخله: كم من أمراض سببها لنا تسارع دقات المطالب فوق رؤسنا في هذا العصر؟ وكم تظلِم الصيدلية الكيميائية أجسادنا المثخّنة بالآلام؟

على الناصية الأخرى محلات لبيع الأدوات الكهربائية التي لا يخلو منها بيت، وإلى جوارها محلات الهاتف النقال تنافسها في العدد وتنوع الأحجام والألوان والأشكال، همس الصوت نفسه بداخله:

– أهي تبيع محاولات لإراحة المتعب أو نجدته عند الحاجة أم تبيع الحاجة للراحة والارتكان إليها بلا معنى.

آلمه مضي الوقت بلا فائدة..

بل إنه لم يعد يشعر بانفضاض المحلات التي لا يفتأ ينظر إليها وأضواؤها آخذةٌ في الخفوت...

تواصل الصوت بداخله:

- هل الارتكان لمفردات التحضر الزائف هذه سَيَدَع لنا أنفسنا بصفائها ونقائها أم ستتبدد طمأنينتنا ورغبتنا في سهولة الحياة وبساطتها على الدوام؟

تَذَكَّر المحطات التي تمت هندستها لركوب الراكبين، وبدلاً من تنظيمها تدفن وتنشأ غيرها مع الوقت، ومع عدم منطقية التصور إلا أنه انساب بحزن داخله...

في يوم ليس ببعيد جداً كانت الهواتف الثابتة في الشوارع مهمة بشكل خارق، فما لبثت الأيام ان جاءت بالهاتف النقال الذي أطاح بالهاتف التقليدي.. وهكذا كل مرة تأتينا الحياة بضرورة، فما إن نصل إليها حتى نجدها سلعة استهلاكية تتبدد مع الوقت، ويتم تعديلها بأخرى، وهكذا تبدد طاقتنا في السعي خلف استهلاك ما لا ينال، دون النظر في القيمة الأصلية لتلك السلع، إرضاء لرغبات النفس طارحين الروح، اللهم إلا حين يرحم ربي، في متاهة الوحشة من المدد العلوي..

ثم تَذَكَّر في نفس اللحظة الصديق الذي كان يقيم في الشارع المقابل.. إذ ما لبثت صداقتهما أن تبددت..

المال الذي دسه خلف أعتاب هذا البنك فأكلته الأيام..

الحبيبة التي ركب سيارة من هذا المكان ليخطبها فوجد لديها من هو أقدر على جلب السلع الاستهلاكية..

الابن الذي طالما تشهاه فلما جاء وجده مخلصاً له لكن لديه من المشاغل ما يكفيه..

الزوجة الوفية التي دقق في اختيارها ولكن نفسه تبعده عنها حيناً، جال بخاطره خاطر بعيد:

- أحبابنا لا نوفيهم حقهم من المحبة أحياناً..

حتى دموعه لم تعد توافيه اليوم كما كانت ﰲ سني الشباب..

لملم الباعة اغراضهم.. وبقيت الصيدلية.. اشترى بطاقة للهاتف الثابت وعاد، ﰲ جيبه الهاتف النقال لكنه يريد الاتصال من هاتف ثابت، رغبة قوية بداخله تدفعه لهذا..

- نعم؟!

انفرط عقد الكلام من داخله:

- أردت أن أقول لك إنني تعبت جداً، فلا الحضارة بمفهومها المغلوط الضيق أراحتني، ولا ارتكاني حيناً للبشر أزال عني ما تعاني روحي، وإن كنت لا ادري لِمَ اتّصَلْتُ بك على التحديد إلا أنني أردت القول لك: إنني تذكرت عشراتِ الليالي التي ضاعت من عمري هباءً.. تخيلت فيها أمنيات صعبة التحقق ﰲ خضم عالم لا يعرف الركون للخيال وقلت أجد عندك شيئاً من تصور للحل..

لم ينتبه لنبرة النعاس الشديدة ﰲ صوت محدثه على الطرف الآخر ولا سؤاله المستنكر:

- من فضلك قل لي من أنت؟

ولم يفق إلا بعد حين للصوت الآلي يتردد ﰲ رتابة:

- لقد وضع الطرف الآخر السماعة من فضلك اغلق الخط فلربما احتاجه أحد الآن أكثر منك.. هذه رسالة مسجلة لقد وضع الطرف الآخر السما..

هزه المعنى لأقصى عمق من نفسه، احتاج بشدة لحضن أمه ﰲ خضم الليل المظلم ﰲ أشد لحظات إظلامه حتى إنه يتصل بمن لا يعرف ليشكو له ما لا يعرفه السامع على الطرف الآخر، من يصغي لشكواه الآن إذن وقد نام عنه الناس؟!

انتبه على صوت نقي شجي ينساب من أعلى إلى نفسه بلا أدنى مشقة.. فيشعر بالأمان والسكينة.. فتروح الروح مستيقظة نافضة عنها ركام النعاس، تاركة مأساة تأخذها عن الصوت النديّ ومعناه الرفيع الدرجات..

هتف بنفسه:

– نعم إنه صوت الحق تعالى سبحانه هو من لا ينساني ولا يضيع ولا يفتقد شيئاً من متاع الدنيا الفانية من ارتكن وآنس إليه، نعم الله أكبر! الله أكبر من كل ما في هذه الحياة وزيفها وضلالها.

بينما كان يسير نحو المسجد كانت روحه تهتف به:

– ليتك تعتذر لمن أقلقته من البشر منذ وقت قليل، بل ليتك تعتذر لربك تعالى عن نوبات نسيانك، هيا إلى رحابه تعالى، فلدى بيته لن تجد ما يعكر صفوك..

هيا إلى المسجد...



القصة الثالثة

سر المرأة المستكينة

سر المرأة المستكينة

المسافة ما بين بيتها والحي الذي تنشده تستغرق بمن يقطعهما سيراً على الأقدام حوالي الساعتين من السير الجاد غير البطيء، فماذا حينما يتعلق الأمر بامرأة على مشارف الخمسين من العمر أو جاوزته بسنوات.

ملامح وجهها تلك المرأة كانت تحمل دلائل الطيبة المفرطة، وعلى مدار قرابة ألف وخمسمائة ليلة اعتاد الناس في الأحياء ضبط ساعتهم على الساعة التي تمر فيها من امامهم بثيابها البالغة الاحتشام قاطعة الطريق في جدية شديدة.

ويوماً بعد يوم كان لا بد للناس من السؤال:

هذه السيدة التي يبدو من ملامحها الاستكانة التامة لم تقطع كل هذه المسافة يومياً فتبلي نعالها من أجل ما لا يبدو واضحاً على الأقل لنا؟

الأمر يتعلق ببدايات القرن العشرين قرابة عام ١٩٠٥م على وجه التقريب، وهذه السيدة لم تتستأثر بفضول آحاد ساكنة الأحياء التي تمر بها فقط، بل جعلت كتب التاريخ نفسها تنقل حكايتها، بل لم يخطر على بالها بالتأكيد أن الشارع التي استأجرت غرفة فيه من حي العتبة سوف يسمى باسمها (شارع السيدة المستكينة).

لسبب ما أو مجموعة أسباب متضافرة منها الاحتلال الإنجليزي لمصر كلها والعادات الشعبية المزدهرة آنذاك؛ لمنظومة من الأسباب لم يكن دقيق معاني الدين ليصل إلى نفوس العامة في ذلك الوقت، وكانت السيدة المقيمة في بيت تركه لها زوجها تعاني الوحدة بعد زواج بناتها ووفاة زوجها وانقطاع العلاقة ما بينها وبين أهلها في أقاصي البلاد على بعد مئات الكيلومترات إن لم يكن أكثر.. حاول أحد الناس الاقتران بها إلا أنها رفضت في المرحلة الأخيرة من حياتها لمَّا ثار في نفسها سؤال عززه كلام الناس بخاصة النساء

من حولها حول طمعه في البيت الذي ورثته عن زوجها التاجر الكبير وبضع المئات من الجنيهات التي تكفل الحياة الكريمة لها ما بقي من سني عمرها، ولما كانت هناك حالات مشابهة بالغة المرارة لطمع بعض الرجال، استسلمت المرأة المستكينة، كما أطلق العامة عليها، لحالة الوحدة الفريدة، وزاد نفورها من النسوة في الحارة التي تقيم فيها بعد عدم إتمام مشروع الارتباط ما بينها وما بين زوجها الثاني المفترض، وكأنها آثرت قطع المزيد من دواعي الحوارات الممتدة مع النسوة ممن حولها.

أسابيع قليلة وفاجأت الجميع بالمسيرة اليومية من بيتها إلى الحي البعيد، عند السادسة مساء تبدأ الرحلة من بيتها، بل كانت تحرص على قطعها في قرابة الساعتين وعدم اختصار جزء منهما بالسير في طريق مختصر، وشهراً بعد شهر علم الناس في حيّها أنها أستأجرت غرفة في الحي البعيد، فلم يكن خروج النساء بكثافة في ذلك الحين معروفاً في أحياء القاهرة القديمة كما هو الحال اليوم، أو حتى على نحو مقارب.

يوماً بعد يوم علم بأمر استئجار غرفة حتى الباعة في الطريق الذي تسير فيه، فلم يخل الأمر من سير بعض المتطفلين وراءها، دون أن تدري، إلا أن أدب السيدة الجم بقدر ما حافظ على رأي من حولها فيها.. فقد زاد من حيرتهم حول السبب الذي لأجله تسير كل هذه المسافة يومياً بلا تخلف ليوم واحد.

الشوارع آنذاك كانت معتادة على النظام والنظافة والناس لم يكونوا بمثل هذه الكثافة المعتادة اليوم في تلك الأحياء، ولم تكن وسائل المواصلات قد عُرِفَتَ عدا الدواب التي كانت تعبيرًا يلخّص بساطة الحياة آنذاك... دفعت بمزيد من الأسئلة على ألسنة كانت ترى امرأة فاضلة تقطع الطريق في انتظام لغير سبب واضح من الأسباب المعروفة آنذاك. بخاصة لما تأكد المتطفلون الذين تتبعوها من سلامة سلوكها وبقائها في غرفتها التي اعتادت

الذهاب إليها بذلك الحي البعيد يومياً بمفردها.

على أن انتشار نزاهتها وهدوء تلك السيدة لم يزد فضول المتسائلات بوجه خاص ليسألنها، بل اعتدن مصمصة شفاههن قائلات:

- لعل لديها سراً ما.. مرض مثلاً أو ما شابه تذهب للعلاج منه في أجواء مختلفة عن أجواء بيتها.

اعتاد الناس مشوار السيدة فخفت حدة الأسئلة، وعاماً بعد عام اعتاد الناس الأمر وصمتت الألسنة وإن كانت علامات الاستفهام ما تزال حتى يومها عالقة بأهداب العيون... إلا أن رحلة المرأة بقيت على حالها.

ولكن أمراً مغايراً بعد أيام حدث إذ انقطعت رحلة المرأة تماماً، وبالسؤال تبين أنها ماتت، هكذا أخبر سكان حيّها الأصلي.

وبعد فترة من موتها ذهب وفد لسبب غير معروف بشكل كامل للسيدة صاحبة البيت الذي استأجرت فيه المرأة المستكينة ، وهكذا تمت تسميتها فيما بعد لدرجة نسيان الجميع لاسمها الأصلي، وكان السؤال:

لم كانت المستكينة رحمها الله تعالى تأتي إلى غرفة من دارك فيما لها دار؟

فأجابت السيدة في تلقائية:

والله لم تك تأتي لسبب مريب والعياذ بالله وإنما كادت تنشطر من الوحدة فآثرت أن تشغل نفسها بسر لا يعرفه غيرها، أما ولا سر في حياتها فقد نسجت لنفسها سرها الخاص الذي لا سر فيه..

وبقي اسم تلك المرأة عالقاً بالأذهان تردده الشفاه إلى اليوم كلما أقام أحد أو تحدث عن شارع المرأة المستكينة، أما من عرف قصتها، وكان ورعاً، فما يزال يردد:

ماذا لو أن هذه المرأة كانت قد عرفت الله تعالى أكثر؟

إذن لقطعت هذا الوقت الطويل في مناجاته والسير إليه، ولوثقت عبر سنوات عمرها الأخيرة رحاب عبادتها به، ولاستغنت بذكره، سبحانه وتعالى، عن الرحلة المضنية اليومية وتطفل الناس وأسئلتهم...



القصة الرابعة

لا تطردوه من المسجد

لا تطردوه من المسجد

- هل سألت نفسك لماذا تجيء إلى المسجد خمس مرات في اليوم والليلة؟ هل لتنشر كل هذا الكم من الفوضى؟ وتضرب الصغار من أقرانك فتبكيهم؟ أم من أجل أن تكون طفلاً منضبطا صالحاً؟ لم لا تقلد عشرات الأطفال ممن يأتون في سلام وينصرفون في أمان؟

بينما كانت كلمات الإمام في مسجد الحي الكبير تترى.. وفيما يحاول صاحبها جاهداً ألا يبدو أكثر انفعالاً، كنت أرى نتيجتها في نفس الوقت على صفحة وجه صبي يقارب الحلم أعرفه، وأتعجب من حدث أراه.. فيما تنساب تداعياته أمام عيني في لحظة واحدة..

خيل إلي أن (أيمن) ثقل الكلام عليه إلى الحد الذي دفعه للهرولة، فاصطحب ورقة ودفتراً كانا معه لسبب، فصلاة العشاء ليس يعقبها درس، وليس من حلقة علم خاصة بأقرانه، سحبهما وهرول خارج المسجد باكياً، عقبها مباشرة توقف خارج المسجد ذارفاً المزيد من الدموع، ومنتظراً شيئاً ما يعوضه عما حدث، من طرف خفي، تقدم أحد الآباء مصطحبًا صغاره سائلاً إيّاه عن سبب بكائه، فلما لم يجد، وكان متعجلاً اللحاق بالصلاة، ما يفتقد بذل مزيداً من الدموع، من مكانه المظلم ثم هرول ماضياً، ولم يسعفني الوقت للتدخل، على أي حال ..

وفي الليلة التالية، خيل إلي، لم يترك أيمن طفلاً خرج من المسجد بمفرده أو دخله كذلك إلا وأبكاه، تجمع الآباء ساخطين وطارده الصبية.. لم تهزني أنا أيضاً هذه اليد؟ .. هل..؟

- أبي أنت نمت فيما تنتظر إقامة صلاة العشاء.

كانت يد بني الأصغر فيما أضاف:

- الإمام حدث (أيمن) كثيراً فيما أخشى أن يكون قد آلمه.. وقد نجحتُ

في إعادته إلى المسجد بعدما غادره منذ ثوانٍ.

لم يحتج الأمر وقتاً طويلاً لأتدخل، فقط منعت (أيمن) من الخروج ثانية، وكفكت دموعه بل اعتذرت له بالنيابة عن الإمام، برغم تشاجره مع ابني بالأمس فقط، ثم وعدته بحديث طويل عقب صلاة العشاء الليلة كي لا تأتي الليلة التي رأيتُها في منامي القصير، تلك التي يضرب فيها كل صغارنا وما يدرينا بما سيفعله في الليالي التي لا حصر لشرها لا قدر الله تعالى عليه.

قلت له:

- عفواً لم جئت بالورقة والدفتر معك برغم عدم وجود درس الليلة بالمسجد.

- لأكتب أسماء جميع الصغار ممن هم في مثل سني بالمسجد لأنني أحبهم وأريد الاحتفاظ بأسمائهم.

ثارت أكثر من علامة استفهام بداخلي، أولئك الذين لا (يقصر) في إبكائهم، إلا إنني وجدتُ نفسي أجذبه إليَّ محاولاً ضمه لصدري، مثلما أحب مع جميع الصغار، إلا أنه احتفظ بالمسافة القريبة التي تفصلنا، وأبدى تعجباً مما أريد القيام به، إن صغيري هذا لم يعتد أن يحتضنه أحد من عالم الرجال، واخشى أن يكون في العالم كله من رجال ونساء، وحلاً لعلامة الاستفهام الكبرى البادية على محياه اضطررت لأن أقبله في جبهته.

- اسمك أيمن؟

- أيمن محمود

- إذن فأبوك يحبك حباً جماً.

- نعم يا عمي؟

- إنه لا يضربك على الإطلاق إذن؟

- بل إنه يضربني بمعدل خمسة عشر مرة كل شهر.

- ولم هذا العدد بالتحديد؟

- لأن أبي يقضي نصف الشهر في عمل مميز يقتضي الحزم مع المخالفين.

- لكن والدك شخص مهذب يحب فعل الصواب على الدوام؟

- تماماً.

- لكن حاول ألا تضرب من حولك.

- بل إنني أمزح معهم.

ذهبت للإمام فبادرني بالاعتذار عما قاله ل- (أيمن) بل قال لي إنه قبل رأسه، إن من أمتنا من يستوعب الصغار وإن ضاق بهم حيناً وقال لي:

- بل أخشى أن يفتك به الآباء هنا، بخاصة أن أباه ليس من مرتادي المسجد.

- هذا دورنا في زيارته بل إفهامه ضرورة حسن معاملة (أيمن) فقد فهم الأخير أن محبة الأقران تكون بالاعتداء بالضرب عليهم من كثرة ما ضربه أبوه.

- يا الله؟!

سنزوره معاً متى جاء من عمله، ولعله نوع نادر جداً، وحتى هذا اليوم سأرعى (أيمن) في المسجد وسأتواصى مع المصلين كباراً وصغاراً ألا نطرد (أيمن) من المسجد... بل لعله يأتي بأبيه إليه.



القصة الخامسة

لن أبيع ديني بنصف اليورو

لن أبيع ديني بنصف اليورو

أخـذت الإمـام سنة من نـوم بعدما لم يفكر، بدقة، في الموقف الأخـير الصادر من محصل الحافلة، فالأخير أخطأ خطأ طفيفاً لن يكلف أحدهما، لا بالنقص ولا بالزيادة كثيراً، فالامر جد بسيط، وفي هذه الدولة الأوربية المتقدمة ماذا يساوي نصف اليورو، إذا ما كان إمام المسجد يشرب كوب القهوة على المقهى باثنين يورو ونصف اليورو أثناء سفره إلى مدينة خارج المدينة التي يقيم بها، فما نصف اليورو بشيئ يستحق المراجعة أو كثير الأخذ والرد؟

جلس الإمام المتوسط العمر على أقرب مقعد مقابل المحصل، وشعر ببعض الدوار والرغبة في النوم، وخيل إليه أن الأخير إنما يسترق النظر إليه، حاول الإمام التشاغل بالطريق من حوله فلم يجد جديداً، وإن كانت معالمه بالغة النظام كما اعتادها، إن كل شيئ هنا يسير بنظام شديد، لا يملك إلا أن يقرر ذلك، بل إنه أحياناً ما يهم بالتصرف العفوي العادي الذي طالما تعود على مثله في البلد العربي الإسلامي الذي نشأ فيه، ومرة بعد مرة فهم أن أي فعل، مهما كان صغيراً في وجهة نظره، قد يسبب له من الإحراج ما لا يطيق، ويكفي أن يجتمع الكثير من الناس هنا لمشاهدة ما فعل في تعجب شديد..

لذلك عود الإمام نفسه جيداً على عدم مخالفة النظام العام، بخاصة وأن هذا النظام الذي يقضي بعدم إلقاء ورقة في الطريق العام، والنزول من الباب المخصص للنزول من الحافلة، والصعود من الباب الآخر، وعدم إزعاج أهالي البلدة بعد نومهم المبكر جداً، فهم ينامون تقريباً بعد الثامنة مساء بقليل في أيام العمل، هو نظام يكاد يكون جزءًا مما دعا الإسلام إليه تماماً...

أما تلك االعادات المسيئة التي يفعلها أهل هذا البلد الأجنبي في أيام إجازاتهم.. فإن اجتنباهم حينها أفضل، والأفضل النصح الهادئ لهم لكن

بعد تقوية أواصر العلاقة الاجتماعية مع بعضهم، وما من شئ هاهنا أفضل من تقوية الأواصر الاجتماعية، هكذا حدث الإمام نفسه..

إنه لا ينسى حينما كان في العام الأول من غربته هنا، حينما دعا أصدقاءه وأبناء قريته والقرى المجاورة في نفس البلدة لجلسة سمر، كتلك التي اعتادها منذ شرخ الشباب، والأمر جد يسير بالنسبة له، يصطحبون الكراسي إلى الشارع، أسفل البناية التي يقيم بها، ويحضرون موقداً للغاز صغيراً، بحث عنه طويلاً حتى وجده في البلد الأوربي، وقال له منْ باعه:

– إنه لموقد نادر لا يحبذه أهل الدولة كلها لأنهم يرون فيه خطورة متناهية فحذار أن يراه أحد معك..

تقتضي النصيحة أن الموقد لكي يستمر معه، فعليه، بالحذر الشديد،لذا فإنه لم يستخدمه على الإطلاق، وذات ليلة فكر: ولكن ما جداوه إذن؟

اصطحب الموقد وأكواب الشاي، والشاي والسكر، واجتمع وبضعة عشر من الأقارب والأصدقاء يتبادلون الضحكات، فما راعه إلا الصراخ يتعالى من شرفات محيطة به.. فلم يعر الأمر اهتماماً، وما هي إلا ثوان لا دقائق حتى حضرت سيارات الشرطة، لا سيارة واحدة، وبينها سيارات ما يسمى لدينا بالدفاع المدني من أجل موقد الغاز الصغير، وكانت ليلة لن ينساها في حياته.

وفي قسم الشرطة سئل مئات المرات: لِمَ يقلق الناس بعد موعد نومهم؟

وَلِمَ جاء بهذا الموقد؟

ومن أين هرّبه ليدخل البلاد به؟

ولا ينسى، بل إنه حتى إن نسي، أنه لم يستطع إخبارهم عن مؤهله الدراسي، بل إنه اليوم يحمد الله أنه لم يكن يعمل إماماً لمسجد بعد.

اندهش الإمام وفرك عينيه جيداً، بعدما خيل إليه أنه عاد من رحلة في

غياهب ذكرياته،فقد كان يرى نفسه من خلال زجاج الحافلة يقف على شاطئ البحر، وما إن يجد غريقاً يرفع يديه مستغيثاً، وكلما أراد الوصول لمن كاد يغرق يجد نفسه هو الغريق، كيف تحول الطريق من حوله إلى بحر؟ وكيف يجد نفسه غريقاً في حين كان ينبغي أن ينجد مَنْ كان يغرق بالفعل؟ هو يدري فقط أن رأسه ثقل بعض الشيء، وأن عقله تراجع قليلاً.

تكررت الصور أمامه، فعند شاطئ البحر وجد أحدهم يكاد يغرق، فسبق إليه، فكاد يغرق هو..لكن عجباً إن الرجل الذي يكاد يغرق.. هو..

هو هذا المحصل الجالس بجواره يفصلهما فقط ممر الحافلة، بل إنه يرتدي نفس زي المحصل المعروف، وينظر إليه نفس النظرة المدققة التي رآها منه منذ دقائق، ولكن غفلة تنقلب النظرة رأساً على عقب لنظرة عدائية شديدة، بل إن المحصل ليأخذ بيديه الاثنتين ليغرقا معاً، في البداية كان الإمام قد صرخ فيه.. فقال المحصل له:

- صرخت أكثر فيك.

- لم يحدث

- صرخت بعيني فلم تفهم.

يثور البحر عندها وتطفو نظرة أخرى للمحصل تعني منتهى التخاذل.

أفاق الإمام من نوبة سبات، واستغراق في النوم، ليجد نفسه في الحافلة ما يزال، تسير الأخيرة بسرعة في الشوارع فيما المحصل يدقق النظر إليه.

قام الإمام من فوره نحو المحصل:

- لقد نسيت وأعطيتني بقية الخمس يورو ثلاثة يورو بدلاً من اثنين ونصف اليورو، قيمة التذكرة الحقيقية، فلك لدي نصف يورو.. من فضلك خذه..

رد المحصل في هدوء:

- لا لم أنس!

- كيف وقد أخذت منك ثلاثة يورو بدلاً من اثنين ونصف اليورو..

- نعم هذا حدث.

- إذن فما الأمر؟

- لقد عرفتك منذ ركوبك الحافلة فأنت إمام مسجد المسلمين في ضاحية أسكن فيها، ويقال عنكم أنكم بالغو الأمانة فأردت اختبار هذا فيك، وقررتُ في نفسي أنك إن رددتَ النصف يورو فسأدخل في الإسلام، وإن لم تفعل فسأبقى على ديني، ولأنك بالفعل جسدتَ الأمانة المطلقة، وتجاه أقل القليل من المال.. فسأذهب غداً إلى المركز الإسلامي لآتي بمعاني القرآن الكريم المترجمة تمهيداً لدخولي في الإسلام.

ثارت الأفكار في نفس الإمام بل وجد نفسه كمن كاد يغرق في الماء منذ قليل، هل كان سيبيع الإسلام بنصف اليورو..

هتف بنفسه فيما هو يسقط مغشياً عليه:

- لن أبيع ديني بنصف اليورو.. والأمر ليس اختبارا، إنما هو كيمياء حياة...



القصة السادسة

وَدَّعَت القلق

وَدَّعَت القلق

- ظننت أن جل ما يهمك من مثلي هو إعلان إسلامه، وها أنا أجئ إليك معلنة عن رغبتي في الدخول في دينكم فلم تسألني إذن؟

وقفت السيدة التي تجاوزت الستين من عمرها أمام الداعية الشاب، ورئيس هيئة علماء المسلمين، في البلد الغربي الذي ولدت وما تزال تقيم فيه، بعد قليل وبابتسامة صافية قال الشاب:

- أختي الفاضلة جل ما يهمني التأكد من صدق إسلام مَنْ يأتي طالباً الدخول في ديننا، فقد يكون له غرض ما، لا قدر اللّه تعالى من إسلامه، ثم إنني أحب التأكد كي أؤدي عملي على النحو الأمثل، ثم لعلك تعلمين أن عدد المسلمين في العالم ليس بالقليل ولكننا نحتاج إلى الصادقين.

أضافت المرأة بهدوء، وقد ارتاحت ملامح وجهها، وخف أثر الاضطراب الذي كان بادياً عليها منذ دقائق، بل كفت عن الارتعاش يديها:

- اسمح لي بالحديث كما أريد ..

- تفضلي فإنني مصغ لك .

- في الحقيقة منذ صغري تعودت على داء القلق، وياله من مرض رهيب صاحبني حيثما اتجهت خلال مراحل حياتي، فقد عانيتُ مع الراحلة والدتي معاناة أسرية أعفني من مجرد تذكرها لا ذكرها..

- قولي ما تريدين قوله فقط... وتذكري أني أخ أصغر لا أكثر ..

- الحقيقة هذا الشعور الذي تحدثني عنه بأنك أخ أول ما لفت نظري في دينكم، ولكن الأجمل في دينكم هو الإيمان باللّه تعالى..

- وكيف وصلت إلى تنسم عبق هاتين القيمتين أو القيمة الواحدة لدى عميقي الإيمان حينما يحبون ربهم.. فيحبون لأجله، تعالى، كل الناس.

- إنني أعمل ممرضة في قسم الحالات الحرجة من أكبر مستشفيات العاصمة هنا، ومن الطبيعي أن الحالات التي يوكل إليَّ العناية بها هي حالات شبه ميتة من حيث التكييف الطبي، وقد اعتدتُ على طريقة المعاملة من قبل أصحاب هذه الحالات، وتدربتُ عليها، فهم على الدوام يتوجعون، ويشكون بل إن نسبة كبيرة جداً تتحايل علي كي أعطيهم حقنة مميتة فيما يسمى ظلماً بحقنة الرحمة، إلى هنا والأمر طبيعي جداً، لكن غير الطبيعي هو أن نشأتي الشخصية الخاصة بحرمان معين تضافر مع القلق الذي صاحب تكويني ليضفي عليَّ ملامح عدم اطمئنان لأبسط الأمور بداخلي.. ولعلك تعذرني إذا ما قلت لك أنه صاحبني حتى حينما سألتني عن سبب دخولي في الإسلام منذ دقائق ..

- أعلم ولا عليك..

- ولكن مريضة واحدة في قسم الحالات الحرجة كسرت لدي هذا الحاجز تماماً ..

- كيف من فضلك؟

- إنها امرأة مغربية بالغة البساطة نقلت إلى القسم الذي أنا فيه منذ ما يزيد عن العام، وتعجبت من كونها تحاول الابتسام طوال الوقت، وإذا ما هاجمتها نوبات الألم حاولت التحمل في صمت فإذا ما زاد عليها نطقت بكلمتين اثنتين بالعربية .

- يارب أليس كذلك؟

- بلى، طوال أوقات محنتها لا تقل سوى يارب، استفزتني تلك المرأة كثيراً.. فقلت لها:

- لم لا تتألمين مثلما يتألم كل المرضى فأجابتني في هدوء حسدتُها عليه:

- ذلك لأني أعلم أن لي رباً كريماً هو الله تعالى، وأنه ما امتحنني بالمرض

إلا لأنه يريد رفع درجاتي في الجنة لديه في العالم الآخر..

– ولكنك تتألمين بقوة لا تقنعينني بغير هذا..

– أتألم وكلما وهبني الله القدرة على التحمل زادت مكانتي في الجنة..

أضافت الممرضة:

– استجمعتُ كل شجاعتي وتاريخي الطويل من القلق الذي بدأ مع هجر أبي لأمي وتخلي الرجل الذي أحببتُه عني وقلتُ لها:

– ولكن ماذا عن حياتك اليوم يا هذه؟ إنك مريضة بمرض عضال بل ..

أكملتْ الممرضة:

– لم تتركني هذه المرأة أكمل كلماتي...، بل قالت بابتسامة الواثق في قوة تعينها أكبر من القوى البشرية ... قالت لي:

– أختي الفاضلة كم مقدار عمري فوق الأرض؟ ناهيك عن مدة بقائي في المستشفى إنها لدقائق وأيام لكن النعيم لدى حبيبي ربي الله لا انقضاء له..

لقد استفزتني تلك المرأة من أعماقي، وقلت في نفسي حينما سيزداد مقدار الألم لديها ستفقد قدرتها على التحمل فزادت لديها الأخيرة، فإذا كنتم تمتلكون هذا الإيمان، معاشر المسلمين، فإنكم لتمتلكون أعز ما في هذه الحياة، ولا أريد من حياتي سوى استشعار هذه الراحة والكف عن الدوران خلف دائرة الشقاء الرهيبة التي ما يُشفي منها الأموال ومعرفة من لا يؤمن بدينكم ...، بل تضاعف من حدتها، وتجعلها ساطورا يحز، في لحظة رهيبة، أوصال ما تبقى من ذبالة الآمال...

لذا، فإني لأشهد ألا إله إلا الله وأن محمد ﷺ رسول الله.



القصة السابعة

حسن المغربي وحسن الألماني

حسن المغربي وحسن الألماني

دَقَّق الداعية الأستاذ الجامعي جيداً في كلمات الإعلان، بل فرك عينيه بحدّة ودهشة.. وانتابته نوبة من الشك، لثوان، حيال قيامه من النوم بعد:

- مطلوب داعية قس مسلم لتعميد رجل يريد الدخول في الإسلام ولكنه خائف!..

بين يدي الداعية الشاب آنذاك الجريدة تنطق بالإعلان، فيما الحافلة تسير في قلب إحدى مدن ألمانيا قبيل السابعة صباحاً، موعد ذهابه إلى العمل، ولكن هذا الإعلان يحتاج لفك طلاسم.

تأكد الداعية الدكتور من كلمات الإعلان المنشورة في موقع بارز من الجريدة، وما هي إلا برهة يسيرة حتى توقفت الحافلة في محطة جديدة ليكون الداعية أول الهابطين.

الوقت ما يزال مبكراً، وهو قد اعتاد منذ سفره من سنوات إلى الغرب ثم استقراره بألمانيا الاستيقاظ مبكراً والذهاب إلى مقر عمله بالجامعة للتدريس قبلها بثلاث ساعات على الأقل، فهو يعرف أنه أحد الدعاة القلائل لدين الله تعالى في هذا البلد، والأمر قد يحتاج لإجابة طويلة عن سؤال لأحد الطلاب يتجاوز حدود المقرر لتفاصيل تخص الإسلام الحنيف، قد يتأتى السؤال من طالب وجد متسعاً من الوقت أمامه ووجد الأستاذ حاضراً ليجيب، ولكن النتيجة غالباً ما تكون مبهرة، لذا اعتاد اصطحاب أبرز الجرائد وأحد الكتب المهمة والانطلاق في مهمته الصباحية، ولكنه اليوم فوجئ بمهمة أكثر من غريبة وعليه فك طلاسمها.

هل يكون الرجل المُعلن، وقد ترك عنوانه كاملاً خائفاً من أحد من الأهل، إن هو علم بأنه يريد الدخول في الإسلام لذا كتب صيغة ملتبسة في الإعلان تصعب على الفهم، وتحتوي المعنى ونقيضه، ترى كم عمره؟ ولماذا كتب

الإعلان الآن، قال الدكتور لنفسه:

- لا داعي لأن أسبق الأحداث سأذهب الآن للتو إليه مستجلياً غموض الأمر، فالرجل يقول إنه خائف وهو الأمر الذي لا يبشر بخير، وينبغي معه التصرف الفوري.

عند الباب المحدد بالإعلان كرر ضغط زر الجرس بلا مجيب فشعر ببعض الحزن، ولكنه نزع ورقة من فوره من دفتر مخصص للأوراق المماثلة وكتب عليه:

- إنني داعية مسلم حضرت لنزع رداء الخوف عنك وتعريفك بالإسلام، وهذا هاتف وعنوان المركز الإسلامي، من فضلك تواصل معي.

لم يكن الهاتف المتحرك قد صار على هذا النحو من الوجود والانتشار قرب بداية الثمانينيات من القرن الماضي، ولم يكن من حل لدى الدكتور سوى كتابة هاتف وعنوان المركز الإسلامي، ولكن فيما هو يمضي قال لنفسه:

- اللهم إني استودعك أمر هذا الرجل فاقدر لي التخفيف عنه ومعاونته فيما لا أعرف من أمره.

وهو يركب الحافلة من جديد لم يجد الداعية في نفسه رغبة لإتمام قراءة الجريدة فجلس في هدوء يذكر الله تعالى ويصلي على الرسول ﷺ، وعند محطة الجامعة حاول الهبوط ولكنه لدى الباب وجد شيئاً غريباً يستبقيه، حاول التغلب عليه فلم يستطع، إن شعوراً ملحاً لديه يدفعه للبقاء، ولكن إلى أين؟ نظر لخط سير الحافلة فتأكد من وصولها إلى المركز الإسلامي، وفي هدوء عاود الجلوس.

عند ولوجه بوابة المركز وجد رسالة من صديق لصاحب الإعلان تخبره بأن المعلن في المستشفى وهو يريده الآن:

- إذن فلعله خائف من الوفاة قبل اللقاء.

هرول الداعية إلى عنوان المستشفى، وحين استدل على المريض وجده رجلاً معروق الوجه.. معالم الألم بادية على ملامحه.. همس بقربه:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أخي الفاضل.

- أأنت صديقي حسن متى جئت من المغرب؟

- بل إنني الداعية الذي طلبته في الإعلان.

- معذرة فإني مدرك لكل ما حولي ولكن كلماتك ذكرتني بأخي حسن.

- ومَنْ حسن؟

رنت ابتسامة فوق وجه المريض الشاحب ثم قال:

- هذا أحد أفضل أصدقائي، على الإطلاق، لقيته في المغرب منذ فترة ليست طويلة، وكان معي من المال ما هو كاف، وما إن سألته عن عنوان مزار سياحي حتى فوجئت به يقول لي إنه يتوسم من محياي إني رجل طيب ويريد استضافتي في بيته، وبعدها يمكننا الذهاب معاً لزيارة بعض المعالم السياحية في المملكة بشرط زيارة بعض المساجد أيضاً، تمهلت قليلاً ثم سألته عن سبب عرضه فابتسم في حياء وأجاب: غرض في نفسي، وللحقيقة فقد استفزتني كلمات حسن فقررت الذهاب معه، وأتيت بأغراضي من الفندق، وفوجئت بكرم الضيافة الشديد، حتى أنه لم يترك لي فرصة لدفع شئ ولو قليل في المواصلات حتى الخاص منها، وفي نهاية اليوم الأول لمعرفتنا توجست خيفة منه.. حتى إنني وضعت أغراضي الخاصة أمام سريري، وتناومت لأنظر ماذا سيأخذ منها، غير أنه حياني في عذوبة وترك الغرفة لي، وفي الصباح بادرته بالقول: كم تريد ثمناً لاستضافتك لي؟ فبدا الحزن عليه وهو يجيبني: على فكرة ما قلته يعد عيباً شديداً في ديننا العظيم..

التفت المريض طالباً من الممرضة كوباً من الماء... شرب بعضه وأضاف:

- ولما كنت تعودت الحياة بلا دين سألته على الفور: وما دينك؟ فأجاب بفخر الإسلام، وهو يأمرنا بإكرام الضيف لمدة ثلاثة أيام كاملة.. هنا شعرت بالخجل من نفسي لأني ظننتُ سوءاً بصديقي حسن، ولما كان إحسانه إلي من أندر ما لاقيت في حياتي، ظلت ذكراه بنفسي فلما أصابني المرض الشديد تمنيت لو لاقيته، ولما لم يكن معي رقم هاتف له أحببت أن أعرف تفاصيل دينه، ولما لم يكن لي سابق دراية بالإسلام كتبت الإعلان على النحو الذي رأيت فأحك لي عن دينك من فضلك.

أخذ الداعية يشرح مبادئ الإسلام في بساطة ويسر، حتى إذا جاء إلى الصيام قال الرجل:

- ليس لي طاقة به.

فقال الداعية:

- تدفع الفدية.

ثم لما وصل للحج قال الرجل:

- لا أطيقه أيضاً.

- يحج عنك آخر.

- أريد صديقي حسن كي يفعل، ولدي سؤال أخير: هل يلزمني تغيير اسمي لأدخل في الإسلام؟

- لا.

- ولكني أريد تغيير إلى حسن.. حسن الألماني.

أخرج الرجل المال الكافي ومن قبلها تَشَهَّدَ وقام إلى الصلاة بعدما استطاع الوضوء، وعلمه الداعية الصلاة جالساً مراعاة لحالاته، ثم ودعه على وعد بالزيارة غداً.

وفي الموعد قدم الداعية فأُخبر بوفاة الرجل، فانتابه شعوران أحدهما بالفرح لإسلامه والآخر بالحزن عليه حتى إنه ما فتأ يكرر القصة على تلاميذه المسلمين بخاصة من أهل المغرب حتى تأثر كثيرون بها فنقلوها لأهلهم، وأخيراً جاء إليه أحدهم ليقول:

أخبرت جدتي بالأمر فقالت لي إن عمك حسن استضاف ألمانياً منذ عشرين عاماً، وقالت سألته عنه فأكد أنه صاحب نفس الاسم.

على الفورأرسل الدكتور الداعية ، في استقدام حسن المغربي، فلما جاء أمامه، أخبره بوصية الرجل ووجوب أدائه لرحلة الحج عنه، وأضاف:

- ..كأني أمام حسن الألماني، ولم لا وكلاكما حسن المسلم جمعكما الله عند حوض رسوله محمد، ﷺ، لمحبتكما فيه.



القصة الثامنة

مدن تعرف الرحمة

مدن تعرف الرحمة

ما هذا الألق والبهاء بل النورانية المشعة التي تلف الطريق الطويل من مسقط رأسي إلى العاصمة حيث تقارب المسافة مائتي كيلو متر أقطعها بسيارة للأجرة؟

كل مرة أقطع هذه المسافة فيها استشعر الحرج الشديد يتصاعد ليبلغ حد الضيق والضجر... وأكرر الاستغفار والاستعاذة بالله، ففور وصولي للموقف الخاص بسيارات الأقاليم أتأذى من أصوات أجهزة مكبرات الصوت البالغة الارتفاع (الميكروفونات) التي تذيع فاصلاً من الأغاني يرد بعضها على بعض، ولكني منذ قرابة الساعتين وعقب صلاة العصر، وصلت إلى الموقف فوجدت كل شيئ على ما يرام، فالأصوات العالية لمكبرات الصوت اختصرت حتى لم يعد تتمثل إلا في مكبر واحد للصوت يذيع آيات الذكر الحكيم بصوت ندي بالغ الجمال، وهكذا لم أضطر إلى الذهاب إلى موقف الحافلات (الأتوبيسات) المجاور لأستعطف الجالس وراء نافذة الحجز لأن يحجز لي تذكرة للعاصمة أو ليخبرني بالموعد التالي لتوفر الحافلة المقبلة، وإن اضطرني الأمر إلى البقاء منتظراً لما يزيد على الساعة. فالحافلة أمورها مستتبة لدي عن سيارة الأجرة لأسباب عديدة منها منع سائق الحافلة للركاب من التدخين، هذه المرة لا تدخين في سيارة الأجرة ولا رجاء للسائق ألا يفعل طوال الطريق، ولا استجابة مؤقتة منه حتى إذا ما سارت السيارة على الطريق فوجئت بالجميع يدخنون، أو هكذا يخيل إلي، فالسيارة التي بها سبعة من الركاب إذا دخن بها أربعة أو خمسة استحالت جحيماً لا يطاق لمن هو في مثل حالي، فزحام الطريق يتضافر مع رائحة عادم السيارة مع الغبار والأتربة لتشكل منظومة من الصداع المستمر الذي لا فكاك منه، كما لا فكاك من الحوار مع بقية الركاب حول أضرار التدخين الشديدة ورجاء إطفاء السجائر.

إنها بركة شهر رمضان المعظم،بل إن الأمر لا يعدو أن يكون إحدى بركات الشهر الكريم وكم فيه من بركات لا تكاد تحصى!... بدا الطريق البالغ الضيق أكثر رحابة من ذي قبل، بل إن السائق أقسم من قبل أن تتحرك السيارة:

- شهر رمضان شهر بركة غير محدودة حتى إن الواحد منا ليصون خلاله صوته ونفسه وأذنه وعينه وكل ما فيه طوال سفره.

خلال الرحلة وقبلها فهمت معنى كلماته المختصرة المفعمة بالمعاني... ومن قبل هذا تشع من بين جنباتها روح الإيمان: ازدان الطريق الزراعي، الممتد من بلدتي حتى العاصمة، والذي يشرف على القرى والعزب الصغيرة طوال مسيرتنا، وكان من المفترض أن تكون قليلة، حتى أقرب منفذ للطريق الصحراوي، ازدان الطريق بسكينة جميلة فلا أحد يسد الطريق بماشيته أو بخطوته المتثاقلة، روح من التوثب والسرعة في الحركة ما تزال تلف الجميع، بل قرر السائق دون إخبار أحدنا أنه لن يمضي في الطريق الصحراوي بعيداً عن العمران في رغبة لكسب الوقت، وهذا جزء من صون نفسه وتحقيق راحته الشخصية خلال سفره، إذ إن حركة الحياة شبه السريعة تريحه من المضي في الطريق البعيد حيث لا عمران والوحشة بعيداً عن البشر، حتى الأطفال الصغار يمضون من أمامنا في هدوء وسرعة مصرين على إفساح الطريق للسيارات المتوسطة العدد، فيبدو أن كل السائقين آثروا المضي في الطريق الطبيعي الزراعي القديم، وللحقيقة فقد كان عدد السيارات المتوسط دافعاً لسيولة الطريق المرورية:

- بل إن هناك مزيداً من الروح الإيمانية تحرك الجميع في اطمئنان بديع.. هكذا قال مجاوري فتفكرت ملياً في وجوب انتشار هذه السكينة على مدار حياة المسلم طوال أيام العام... قلت في هدوء:

- كذلك يجب أن نكون جميعاً طوال العام. قال السائق في لطف:

- يارب لكم نتمنى.

(صان السائق صوته) إذ لا مجادلات مع الركاب حول جهاز «الراديو كاسيت» ماذا يسمعون عبره، إذ قال في ابتهاج:

- شهر الرحمة يا إخوة، قرب المغرب سنذيع آيات الذكر الحكيم من إذاعة القرآن الكريم.

أضاف أحد الركاب:

- لنصل بسلام لنتاول الإفطار مع أبنائنا وذوينا.

أضاف السائق في ابتهاج:

- جميل شهر رمضان ما أحلاه! يربي النفوس ويجعلها تحيا في معية ربها سبحانه وتعالى... وتريحنا من كثير جدال لا طائل من ورائه.

تأملت في الهواء النقي من التدخين داخل السيارة، وصوت تلاوة القرآن الكريم ينساب من فم رب أسرة اصطحبها في المقعد الأوسط في صوت خفيض يسمعه هو، ولا يؤثر فيمن حوله، وإن كان أكثر من راكب طلب منه أن يعلي من صوته، هذا الطريق في غير هذه الأيام لا يخلو من شجارات وتوقف لقرابة نصف الساعة في المرة الواحدة، لكم تمنيت أن يدوم الشهر الكريم طوال العام كله.

عتبتِ عليَّ أمي أني لم أفطر معها اليوم الأول من رمضان هذا العام، وطالبتني بشدة، وما يزال صوتها يرن في أذني على الهاتف:

- تعال افطر معي يوماً خلال الشهر وأبق أبناءك فليأتوا معك قبيل العيد، إنني أعرف مشاغلك وإرهاق السفر بالنسبة إليهم.

- تحت أمرك يا أمي.

وهكذا ذهبت فأفطرت معها ليومين ثم أذنت لي اليوم قبيل صلاة العصر

بالذهاب لتناول إفطاري مع أسرتي، فما تزال أمي تقيم خارج العاصمة فيما نزحتُ أنا إليها منذ سنوات.

أفقت من تأملاتي على صوت الأب في المقعد الأوسط وقد طوى المصحف في جلال موجهاً كلامه للمقعد الأخير، وانتبهت للمرة الأولى إلى كون أسرته تشغل المقعدين كان يوجه حديثه لطفلة ربما كان عمرها يدور في فلك سبع سنوات أو أقل قليلاً: فاطمة، حبيبتي أنت مريضة، من فضلك تناولي شيئاً من الطعام، مرضك يا حبيبتي يجوز لصاحبته ولو كانت أكبر منك بعشر سنوات أو أكثر أن تفطر...، فما بالك وأنت على سفر؟

أوجعتني كلماته بشدة!..

أهي مريضة مرضاً عضالاً في هذه السن الصغيرة؟!

دعوت الله تعالى في سري كي يشفيها ويعافيها، وتشاغلت بالطريق فيما كانت الطفلة ترفض في إباء محبب تناول شيئ من الشطائر أو حتى جرعة من ماء من يد الأب والأم التي راحت تقول لزوجها بعد حين من إلحاحه:

- دعها فلا أحب أن تتناول طعاماً تحت إلحاحنا، ولكن إن شعرت بالتعب الشديد من فضلك أخبرينا.

يالله كم من كبار أصحاء يفرطون في صيامهم دونما عذر وهذه الطفلة المريضة تأبى أن تتناول طعامها رغم مرضها.

- شفاها الله وعافاها.

رد أبوها علي في سكينة:

- هي وجميع المرضى يا كريم.

- لكن لي رجاء لديك أيا صغيرتي، ولي ابنة في مثل عمرك الجميل، فلكأنك ابنتي، من فضلك تناولي شيئاً من الطعام .

- سأفعل يا عمي لكن حينما استشعر التعب الشديد.

كنا نمر بمدينة حينها، وكان قرآن الإفطار كما يسميه العامة قد بدأ ينساب من المذياع فيتجاوب مع مذياع كثير من الباعة، وبرغم قربنا من العاصمة فقد بدأ عدد من الركاب ينظرون في ساعاتهم.

بدأ الألم الشديد على وجه فاطمة، ومازحها أبوها قائلاً:

- اللّٰه تعالى يحب منك أن تفطري طالما لم تعودي تتحملي فتناولي شيئاً من يدي. قال أبوها موجهاً كلماته إلي:

- إنها مصابة بمرض نادرا مايصيب مَنْ هم في مثل عمرها، وهو مرض ناتج عن إساءة استخدام منجزات يطلق عليها حضارية مع كونها افتراضًا ترحم الصغار...

صارت الإشارة حمراء وكان على السيارة التوقف، تفكرت في كلمات الرجل في هدوء:

بالفعل كم أضرت بنا بعض مظاهرالحضارة المزيفة، وبحث الإنسان الدائب عن الراحة دون إدراك لخطورة ذاك البحث، إن بعضهم يصدر إلينا منتجات يخدعنا بها، وبرداءة أنواعها على وجه الخصوص فننساق خلفه، وهاهي النتيجة واضحة جلية تتغلغل في وجداننا فتصيبنا بالألم الشديد، هل فكر مخترع هذا الأمر في التلوث الذي يخلفه داخل الأجساد بخاصة قليلي المناعة من الصغار وغيرهم، وهل كان يرضى المخترع أن يستخدم اختراعه في ظل وجود صغاره هو، أم أنه يبتعد عن هذا الأمر فيما يخصه ويصدره للآخرين.

- أنانية البشر كم تجر على البشرية وبخاصة الضعاف منهم؟ تمتمتُ فقال مجاوري:

- أي مظاهر حضارة خداعة تلك التي تصيب مستقبلنا، متمثلاً في

صغارنا، في الصميم؟ همست لنفسي ولم لا أوصل هذه الرسالة للمسئولين عبر تحقيق صحافي أو ما شابه، فلابد للمرء أن يكون إيجابياً بخاصة خلال الشهر المعظم... رنت كلمات مجاوري في ذهني فيما عجوز يود عبور الشارع، ومع قلة العابرين في ظل اقتراب وقت الإفطار فوجئت بالسائق هبط من السيارة ومر بالرجل في هدوء، وبرغم تبدل إشارة المرور للخضراء إلا أن السيارات من خلفنا احترمت موقف السائق فلم يضغط أحدهم على آلة التنبيه حتى عاد مسرعاً.

فيما هو يدير محرك السيارة من جديد نظر مجاوري إليه ثم قال: – أؤكد لك فلقد شاهدت هذا الموقف من قبل في عدد من داخل وطننا العربي، إذ جبت كثيراً من مدنه، رأيته في عدد من مدن الشمال الأفريقي، وفي دولتين خلجيتين، وفي السودان.

– الرحمة بل الإيمان واحد.

رد... فيما السائق يواصل المسير من جديد:

– الل–هم قربنا إليك واجعل عملي خالصاً لوجهك. بدت مآذن المساجد مشرعة في جنبات آفاق العاصمة، تأملتها ثم تمنيت أن تدوم في سكينة ووقار، كما تمنيت أن يبنى عدد مثلها من المصانع شريطة ألا يصدر عنها عمود من الدخان يؤذي الصغار والكبار ويسبب مزيداً من الأمراض بخاصة لأبنائنا.

رجوت السائق أن يتوقف عند أقرب نقطة من بيتي، وفيما كنت أنزل كنت أرى ابتسامة مشرقة على وجه فاطمة فيما هي تمضغ شيئاً وترتشف جرعات من الماء، ابتسمت لها فتوقفت مشيرة بيدها.

وفي عينيها ما يزال بريق متقد، خلت إنه مستقبل أيام مزدهرة قادمة في صباح جديد مشرق بآمالنا المتنامية...

فيما كانت دعوات أبيها تنساب بالسلامة كنت أستدير مقرراً انتظار الصباحات المتلألأة في رمضان مقبل قريب بإذن الله تعالى!.



القصة التاسعة

ذات صباح في حافلة

ذات صباح في حافلة

تحركت الحافلة بالفعل بينما يد الأم التي هبطت في زحام العشرات بدون ابنتها تحاول الإمساك بباب الخروج، أما الطفلة الصغيرة فكانت ما تزال تمد قدماً في حركة وهمية للأمام، إذ إن تحرك الحافلة البطيء يخيفها، وسط اندفاع من الهابطين الذين لم يستطعوا التحرك في الوقت المناسب، والصاعدين الذين يريدون تعويض مجزوء الثواني الذي فاتهم في حركة السائق السريعة بالتوقف في المحطة ثم العدول عنها... مشاعر الألم كانت بادية بوضوح... تزيح البراءة الطبيعية عن وجه الصغيرة، فيما قد غلب الصراخ وعدم القدرة المتزايدة على الأم، تملكها العجز، فكل ثانية تؤذن بأن يأخذ السائق أهبته الكاملة، رويداً فرويداً، ثانية بعد أخرى وربما أسرع، حتى تتحقق له السرعة القصوى للحافلة، وهذا يتوقف على سرعة انزياح السيارات من أمامه، وهنا ستصير الابنة، التي لا يتعدى عمرها خمس سنوات بعيدة تماماً عن عالم الأم، وفي مدينة كبرى مثل القاهرة تصبح مفقودة تماماً، وكم من صغار تاهوا للأبد عن أهاليهم بمثل هذه الطريقة، من رحمة الله أن بعض السيارات كانت بطيئة في المحطة، التي تراجع السائق عن التوقف الكامل فيها كما تقتضي قواعد السلامة، إذ كانت الإشارة الضوئية مغلقة ثم فتحت.

قدرت الموقف وتألمتُ بشدة لحال أم ابنتها تكاد تقفز فيما الحافلة تمضي، ومَنْ حولها غافل عنها، وإن لم أفهم معنى صرخات الأم بكلمات أقرب للهجة العامية المختلطة بلغة أجنبية خاصة المنطقة الجغرافية التي تقطن فيها من وطننا العربي، وهي للأسف غير مفهومة تماماً في بلدي، إذ صار جزء الأمة الذي أسكنه بلداً منفصلاً عن جزء الأمة الذي تسكنه هذه السيدة الملتاعة الخائفة من فقد قرة عينها، إذ كانت بلدي وبلدها بلداً واحداً حتى أقل من قرن واحد فحسب؛ وفيما كانت الدموع تأخذ مجراها الطبيعي للهبوط من عيني الصغيرة بدأت الأم تشير بيدها للسائق كي يتمهل غير مقدرة

أنه لم يكن ليراها، بخاصة إنه على الطرف المقابل تماماً من حيث تهرول، ولو كان له أن يراها في غير هذا الظرف لما رأها الآن للزحام الشديد من الركاب والسيارات، أخذت السيدة تجري أكثر وتشير وتفغر فاها ناظرة إلينا في استنفار ضد السائق الذي ربما خيل إليها أنه يتعمد ما يفعل معها. خطر على بالي حَلٌّ سريعٌ أُمْسِكُ بالصغيرة من معصمها تمهيداً لحملها على يدي ثم الهبوط بها لأمها، فأصوات من انتبهوا من الركاب لم تصل إلى السائق لحد الساعة، فهو يريد، فقط، تَجَنُّبَ جزء من الزحام بل الاختناق الصباحي للعاصمة، ولا يهمه في المنتصف ما بين تأخره وما بين الطريق وآلاف السيارات إهدار مشاعر مثل هذه الأم، أو الحالات الخاصة التي لا تكفيها خمس ثوان، بالكاد، من التوقف لدى كل محطة.. لينزل من ينزل ويركب من يركب في فوضى ما تزيد إلا من اختناق من بالداخل من الحافلة العامة، وشعور الواحد منا بالانسحاق أمام طوفان الآلات المحيطة به في كل مكان.

ما كدت أمسك بمعصم الصغيرة أجذبها لأحملها فيما يدي الأخرى تتحسس طريقها لنتوء بارز من باب الحافلة أقبض عليه فأهبط بها منهياً هذه المأساة.. فما زالت سرعة الحافلة لم تتجاوز حد الخطورة مع من اعتاد الركوب فيها، وإن كانت تتزايد بسرعة، وفيما لسعت يدي دموع الصغيرة، قدرت أنها لا تتجاوز ست سنوات بحال من الأحول ولمستُ حقيبتها المدرسية تتطوح خلف ظهرها، فوجئت بالأم، وفي قوة جبارة وهبها إياها الشعور بالخطر الشديد، فوجئت بها وقد لحقت بالحافلة تضرب يدي في قسوة فيما كان صوتها قد تحول إلى صراخ متزايد..

تَعوّدتُّ رؤيتهما معاً كل صباح، فقد اعتدت ركوب هذه الحافلة متجهاً إلى عملي، لأن ميعادها مناسب له، ولأن مكان إقامتي، فيما يبدو، كان الأبعد عن مكان السيدة سمراء اللون، فكان من الطبيعي أن تمر الحافلة عليهما فيما أكون قد صعدت إليها قبلهما.

ومع الأيام صارت ألفة ما بيني و بين الصغيرة، ألفة من ذلك النوع الذي ينشئه التعود بيننا و بين الآخرين، حتى صرت أنتظر ركوبهما، لأفسح لهما مكاناً مناسباً أو أترك مكاني بالكلية لهما ليجلسا، ، ولكن لم يخف علي أن الأم كانت تنظر إلى هذه الأعمال العفوية بتوجّس..

ويوماً بعد يوم كانت إذا رأتني سارعت إلى أن تقبض على يد الصغيرة أكثر فيما ترتعش يداها، وكنت أواجه هذا بهدوء مستشعراً آثار حالة من الإحساس بفقدان الأمان التي تجعل من المقيمين بأي من طريـ﴿ الأوطان ﴿ أمتنا اليوم غرباء إن زار بعضهما البعض، فالعالم الواقعي يختلف تماماً عن أمنياتنا على الورق، وعالم الأفكار والرؤى الصحيحة لا تجد لها متنفساً لتنفذ مع الآسف الشديد...، كنت أقابل قلق الأم بالاندفاع ﴿ اتجاه غير اتجاهها واتجاه ابنتها كل مرة.

تركت الصغيرة ﴿ حرص كما كانت، فيما ازدادت دموعها انحداراً خلته التهاباً، وتعجبت من فعل الأم ومن طوفان الصراخ الهستيري الذي بدأ يصدر من فمها، حتى أنني فهمت أنها تتهمنا جميعاً بالاستيلاء على الصغيرة، فيما كنتُ مثلها أحاول البحث لها عن مخرج.

نجحت ﴿ جذب ابنتها بشدة ﴿ اللحظة التي بدأ السائق فيها يتمهل ﴿ مؤشر على أن صوت الركاب المتنامي ..برجاء التوقف لثوان.. قد وصل إلى مسامعه فاستجاب.

لم تنتظر الأم تمام توقف الحافلة، وكانت توقفت بالفعل بعد ثوان معدودة، ولم أدر كيف فهمت المرأة الأمر.. لأنها باختصار شديد جذبت ابنتها بقوة من ذراعها فسقطت على الأرض، وفيما خيط من الدماء يسيل من فم الصغيرة كانت الحافلة قابعة ﴿ الزحام لا تتحرك سادة نهر الطريق من خلفها بالكلية، والأم مندفعة ﴿ مزيد من الصراخ الهستيري الذي يشي بأنها قد صارت خارج مدار العقل، بل بدا واضحاً أنها تسبنا جميعاً...

أدركت أن الشعور بغياب الأمان يفقد الإنسان توازنه ، وقد يسلمه إلى طوفان من المشاعر والمواقف الغريبة...



القصة العاشرة

وَجهُ أبي

وَجْهُ أبي

منذ قرابة ثلاثين عاماً أبحث، وما أزال، ما بين الوجوه في القرى والنجوع، كما في العواصم والميادين والمطارات، عن وجهك الجميل يا أبي، وكلما أغمضت عيني شاهدتك تبتسم، كما هي عاداتك في نادر الأوقات التي كنت تمازحني فيها، بل إنني مازلت استشعر الحرج كلما هممتُ بالخروج عن النص العملي الجاد للحياة، وكيف لمثلي أن يفعل وهو يستشعرك ما بين حناياه؟ خجلتُ، طوال عمري، من إخبار البشر من حولي بشيئين اثنين: إنك معي على الدوام بل إن قبرك، يا أعز من عرفتُ من عالم الأحياء، بل إن قبرك، يا أبي، يكذب من يقول بأنه في ناحية من نواحي الأرض، قبرك أستشعره في قلبي معي، أينما اتجهت رافقني، أما الأمر الأخير فغريب كتمتُه، أيضاً، حتى عن صغاري.

ما ناداني أحدهم قائلاً:

- أبي!

حتى استشعرت الحرج الشديد، طالما حاولتُ التغلب عليه، بعد معاناة، لا تكفي الكلمات لوصفها، فلم أنجح، فما زال الطفل بداخلي غير مقتنع بكون كلمة أبي تقال إلا لك أنت، فماذا حينما توهب لي؟ وأنا الذي ما رأيت جديراً بها غيرك، فلكأنما سطوت على حق من حقوقك، ونسبته إلي دون إرادة أو رغبة مني، فإنما هم من ينادونني، الصغار، وكيف لي بإفهامهم أن الكلمة لك من دونهم ومن دوني.

وهل مثل أبي من أب؟

على الأقل بالنسبة إلي:

إن دخل البيت عائداً من العمل، صار البيت كله أبي، لا يخطو ولا يسير إلا لأجله، ولا يفكر أحد إلا فيه، من فرط محبتنا وهيبتنا له، إن قال لي،

رحمة الله عليه:

- تعال..

إنني لأذكر، برغم سنوات العمر القليلة التي صحبتُه فيها، فإني لم أكن استطيع الانتظار متى ناداني، بل أخرج من نفسي محبة فيك وتيهاً على البشرية بأنك أبي، إليك، تتحول نفسي في تلك اللحظة إلى عينين إليك بهما أنظر.

لم أكُ أستطيع أن أُمِّلي ناظريّ بإشراقة وجهك الأروع من بين وجوه أحياء البشر إلا من خلال هذه الفرجة الضيقة من حيز الوجود، حينما، أيا أبي، تناديني، فألمح ألوان الشروق بوجهك، انتقالك السريع من حيز التفكير المضني في حقائق الكون ومواقف البشر، إذ كنت أعلم أن أهم ما في الحياة، بالنسبة لك،حينها كان التفكر في خلق الله تعالى، والاستغراق المتأمل في ملكوته.. حينها كنت أرقبك في صمت وتهيب.. متأملاً صفاء وجهك وبياضه المختلط بحمرة منبئة عن نعيم.. وأتأملك وأنت تفكر.. فتفطن لي:

- لمَ تنظر إلي هكذا يا (ولد)؟ (أبناء) آخر زمن يتملى الواحد منكم وجه أَبيه، عشت عمري لم أعرف لون عينيّ أبي، وأنت تتفرس بعينيك في وجهي؟!

لم أكن أحسن أو أعرف التعبير بالقول عن عمق محبتي، ولكنه في ليلة قمرية أمسك بيدي وقال لي مقولة لن تنزع من أذني إلا بدبيب الموت فيهما:

- لا أريد منك التعلق الشديد بي، فإني لن أبقى معك ولا أريد لك أن تفقد بهجة الحياة بفقدي.

كان أبي القريب البعيد في عمري، إذ يدنيني إليه أستشعر إنما أنا هو، وإذ يبعدني أشعر بمقدار محبتي له، أما أول ما أذكره من الحياة، على الإطلاق، فنداؤه لي:

- تعال..

أسابق الريح إليك، بين يديك أطاطئ الرأس فلا أنظر في عينيك، فيستمر البياض على محياك فلا يخالطه لون الشفق بل تبقى حمرته المعتادة:

- أريدك أن تلف معي الشال فوق العمامة..

أبي العالم الأزهري يطلب مني الاضطلاع بأمر خطير، لف الشال الأبيض على العمامة الحمراء ذات الزر الأزرق، إنه ليعرف إن قمة العزة في ردائه القشيب، لذا لا يقبل بغير لف قطعة القماش الطويل المثلث بدقة بالغة، وفيما هو يدير العمامة بمهارة كنت أكتم محاولة التثاؤب، وتعبي من كثرة الوقوف، أحرص على بقاء الشال الأبيض مفروداً لئلا يحزن أبي فيعاود وجهه لون الشفق.

بعد وفاة أبي، ظلت العمامة وحيدة لعشرات السنوات، فيما بَلِتْ قطع القماش الأبيض المعروفة بالشال.

وقبلها في مرض أبي الأخير تراخى على العمامة الشال، فلم يعد في مكانها منها، إذ لم تعد أنامل أبي قادرة على ضبطها، بينما طوفان المحبة بداخلي لم يكن ناجحاً في مجرد أن أطلب منه تركها لي ألفها عنه.

آخر ما أتذكره عن وجه أبي الغارق في التألُّم بمرض الموت، بدا الوجه جميلاً كعادته، ولكن لونه تحول إلى لون الشروق الأول.. الأصفر، حاول اللون الأحمر، المفتقد، كسوته ففشل، فيما كانت محياه متعبة باللون الأبيض شبه الباهت، يومها بكيتُ في حضوره بشدة، ولدهشتي لم ينهرني أبي بل احتضنني في شدة وبللت خدينا قطرات الدموع المنسكبة في سكينة تشبه الهزيع الأخير من الليل...



القصة الحادية عشر

الهارب الآمن

الهارب الآمن

حينما يرى الدماء الزكية تسيل على الأرض، يومياً، شاهدة على ظلم الإنسان أخيه الإنسان... حينما يسمع أنات المظلومين في أرجاء الكرة الأرضية ولا أحد يشفق عليهم، فهذا ينزف حتى الرمق الأخير، وهذا مصاب أو مريض لا يكاد يجد علاجاً، وذاك جائع يعاني آلام الحرمان الشديد فيما غيره يلقي في القمامة بالطعام، بل حينما يرى العالم الضائع الحيران من حوله، إلا من رحم الله تعالى، فيما كثيرون من البشر يشغله تافه الأمور والقضايا، والمئات، على الأقل، يومياً يفقدون حياتهم، تحت سمعه وبصره من أثر العدوان الظالم من قساة البشر ثم سوء توزيع الغذاء ومقدرات بعض الشعوب.

حينها يقلب التاريخ يديه عجباً وتحسراً على حال البشر من حوله، عندها لا يفتر مردداً على الكون من حوله ومذكراً له بسيرة الرسول العظيم محمد ﷺ.

إنه مايزال برغم عمره الطويل يتذكر...

بل إنه كثيراً ما يترنم بينه وبين نفسه.. فيما هو يهرب من كثير من الأحداث أمام عينيه:

- عاصرت الرحمة المهداة للبشرية ﷺ، إذ يحرص على هدايتهم للإسلام، أو لخيري الدنيا وللآخرة.. على عظم ذنب بعضهم بل إساءتهم إليه ﷺ، فمن يصدق ما أراه اليوم إذ يقصر كثير من أتباعه في تبليغ هديه إلى العالم، بل إن البعض منهم لا يريده لنفسه..

اليوم حُقَّ لي أن أتمادى في التذكر لأرى مشهداً من مشاهد حرصه ﷺ، على نشر الهداية في رحاب الأرض، وكيف أعانه على هذا صحابته الكرام، رضي الله عنهم، وإلا فما هو هذا المشهد الجميل الرائع الذي يخرج من

ثنايا كتبي الضخمة الآن، إنه مشهد صحابي كريم رائع يشق الصحارى الممتدة في شبه الجزيرة العربية شقاً من أجل الوصول إلى هارب من رحمة محمد ﷺ، فبفكر البشر...، الرجل يمعن في الهرب لأنه أساء كثيرا إلى الرسول ﷺ، والصحابة الكرام، رضي الله عنهم، أما حكم الرحمة المهداة فكان أمراً آخر..

يقلب التاريخ كفيه أكثر قائلاً:

- ممن تهرب يا رجل؟ وهل وعيت من أحد أو كتبت عن بشر أكثر رحمة ممن تُولي مبتعداً عنه؟

يكمل التاريخ:

- وهل لي أن أنسى مثل هذا الهارب فرارًا بنفسه من رسول الهداية ﷺ؟!

الرجل هارب يفر بنفسه فيما الرسول ﷺ، قد أمنه ولكن الهارب لا يعلم بل لا يتخيل، ولا يستوعب عقله البشري أن هناك من يرفق به ويؤمنه بل يمهله ليراجع نفسه برغم ما قدم وما فعل .

إنه صفوان بن أمية بن خلف، أحد سادات قريش المعدودين، وابن أمية بن خلف الذي قتله المسلمون في غزوة بدر لما خرج محارباً مستكملاً مسيرة الظلم لهم، بل إن عمه أُبيَّ بن خلف قتله الرسول ﷺ، في غزوة أحد لأنه تصدى للرسول ﷺ، يريد قتله لأن أُبيَّ كان مثل أخيه صفوان من صناديد الكفر في قريش وصد الناس عن الإيمان باللّه تعالى وطاعة الرسول ﷺ، ومع إن صفوان بن أمية كان أحد أشراف قريش في الجاهلية إلا إنه عَمي، حتى ذلك الحين، عن الصواب، ولم يستطع قلبه الهداية إلى نور النبوة الذي شع بين جنبات مكة حيث عاش، بل إنه ورث كراهية الإسلام وأهله من أبيه وعمه، وقاده الحقد الأعمى إلى الوقوف في وجه حبيب المهتدين الرسولﷺ، انتقاماً لمقتلهما، فكان ممن اشترك في الالتفاف على المسلمين

في غزوة أُحُد، مع خالد بن الوليد قبل إسلامه، بل أسهم في قتل سبعين من الصحابة العظماء في تلك الغزوة، ثم حارب الرسول ﷺ في موقعة الأحزاب، كل هذه الحروب التي خاضها ضد الرسول ﷺ، برغم علمه أنه ما خرج إلا دفاعاً عن الإسلام ضد اعتداء قريش على الدين الحنيف وعلى المسلمين، وكم صبر المسلمون على اعتداءات المشركين من قبل في مكة؟ أما في غزوة بدر فقد دافعوا عن دولتهم المؤمنة ضد الجيش المشرك الذي زحف عليهم من مكة سنة اثنين للهجرة ، أما غزوة أحد فقد كانت في العام التالي دفاعية ضد محاولة قريش نيل ثأرها من هزيمتها في غزوة بدر، وسعياً منها إلى الانقضاض على الدولة الإسلامية من جديد، أما فتح مكة سنة ثماني للهجرة ، فما كان إلا نتيجة لنقض قريش لعهدها مع المسلمين في صلح الحديبية وعودة لمن أخرج من مكة لدياره، واستعادة لحقوقهم المهدورة، فلم تكن غزوات النبي ﷺ مع قريش إلا رداً لعدوانهم، وتلك كانت حقيقة جلية، لكن صفوان لم يدركها حينئذ، كما لم يدركه أبوه وعمه على الإطلاق، بل لم يكتف بهذا كله بل حاول قتل الرسول ﷺ، بأن حرض عليه صديقه عمير بن وهب الجمحي ليفعل فيما يتولى هو عنه قضاء ديونه والإنفاق على عياله، ولما لم تفلح محاولته، وكانت عقب غزوة بدر، استمر في مسلسل كراهيته بل حرض أوباش مكة على محاربة الرسول ﷺ، ولم يفهم فحوى دعوته، ولم يستجب عقله لما بها من خير عميم لجميع أبناء البشرية بل أعماه شيطانه طوال تلك المدة الطويلة عن معرفة الخير الذي جاء محمد ﷺ، به، ولم يدرك ولم يع ولم يفهم، بل زاد فحرض أوباش مكة على محاربة المسلمين عند دخولهم إليها فاتحين، برغم حرص الرسول ﷺ، على حقن دماء أهلها..

وفي المقابل ماذا أراد محمد ﷺ له؟

يخرج التاريخ من دفاتر جميل تذكاراته عمامة بالغة الروعة، إنها تلك

التي دخل الرسول ﷺ، بها يوم فتح مكة مطأطئ الرأس تواضعاً لله تعالى، هذه العمامة الأروع والأجمل في التاريخ يعطيها الرسول ﷺ، لعمير بن وهب، وقيل بل أعطاه رداءه الذي دخل مكة به فاتحاً.

ترى لماذا؟

يتساءل التاريخ في صوت فرح ممتلئاً زهواً وحباً بل تيهاً بتلك الذكرى الغالية، منتشياً ببهائها متناسياً بها ما يحدث في العالم من حوله اليوم فلا يستطيع التناسي:

- إنهم لا يرحمون شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا طفلاً صغيراً إذا ما توهم أحد الطغاة أنهم يقفون ضد مصلحة من مصالحه، إذا ما توهم، وكم يتوهم أولئك ويخطئون في التوهم ويغالون فتموت الآلاف بغير ذنب جنته؟ أما مع محمد ﷺ، فالأمر مختلف تماماً.

****

ما من ملجأ لديه في هذه الصحراء الطويلة العريضة الممتدة أمامه ومن خلفه وعن يمينه ويساره، وأين يذهب وخوفه الشديد من محمد ﷺ، وأتباعه، رضوان الله تعالى عليه، ما يمهله ليتم تفكيره، بل إنه ليخشى إن توقف لبرهة لحاق أحد الصحابة الكرام من أتباع الرسول ﷺ به ليقتله، ولم لا يكون أحدهم الآن خلفه بالفعل، وهكذا راح يَجِدُّ في المسير ليس برفقته سوى الأفق الذي لا يرى له نهاية في عمق الصحراء، وخادم له ليحرسه.

وعندما أدرك البحر الأحمر ب-(جدة) طرأ على عقله طارئ جديد:

- فطالما (كانت) السلامة غير ممكنة هكذا، فَلِمَ يُلْقِي في البحر بنفسه؟

تَراجَعَ ربما لأنه يريد ميتة لا تشمت به أحداً إن هو ترك أثراً يتتبع بعد موته فيصل إليه من يخبر عنه، إنه ليريد محو سيرته من الوجود فلا يدل عليه دالّ.

ربما جال هذا بنفسه منذ أيام بقوة، ولكن السلامة ممكنة إن هو ركب سفينة في البحر يريد اليمن...، هناك يبدأ من جديد، وقد لا يعرفه أحد هناك، لم لا؟

يستكمل التاريخ مراجعة المشهد معتمداً على رؤيته وسماعه ومصادره المتعددة:

إنه في حيرة شديدة جداً من أمره!.. لا يكاد يستقر وإذا بشخص يلوح له في الأفق، فصرخ بغلامه مستفسراً عنه.. من هو؟، فأجابه الغلام:

- إنه عمير بن وهب.

إنه الصديق القديم الذي تواعد معه عند الكعبة أن يؤدي عنه دينه ويرعى عياله بشرط أن يذهب إلى المدينة ليقتل محمداً ﷺ، بل لإنه ثقة فيه، وكيف لا يثق وقد أسر المسلمون في غزوة بدر ابنه وهب بن عمير بن وهب، فكيف لا يثأر أبوه لأهله ولأسر ابنه؟

وثِقةً من صفوان في نجاح صديقه وهب صار يخبر قريشاً أنه عما قريب تستقبل خبراً ساراً، بالنسبة لها، بل راح يردد إنه خبر سوف يرد إليهم كثيراً مما لم يحققوه في غزوة بدر، وراح الأمل الكاذب يلعب به فينتظر (صديقه) عند قارعة الطريق القادم من المدينة؛ فما راعه إلا مقدم عمير وقد دخل في الإسلام بعدما أخبره الرسول ﷺ، بما كان من أمرهما، ومما لم يطلع عليه سواه وصديقه، فآمن من فوره عمير، وأفرج الرسول العظيم ﷺ على إثر هذا عن ابنه، ووافق على عودته إلى مكة ليدعو إلى الإسلام دين الهدى والحق كما كذبه من قبل، والآن هاهو يتتبع أثر صديقه القديم صفوان.

لم يخف صفوان عن غلامه خوفه من صديقه القديم أن يكون قد جاء في إثره لاصطحابه للرسول ﷺ، وراح الخوف يعبث بخلايا نفسه من جديد، فيما التاريخ غير بعيد يرقب موقف الفار بنفسه من العفو متمثلاً في

أعظم من قدر فسما عن الانتقام وأطلق سراح عدوه بل أحسن إليه، يتذكر التاريخ أنه كان يشاهد هذه الواقعة في إدراك غامر لمدى الحب الذي يكنه الرسولﷺ، لجميع بني البشر ومنهم من آذوه.

ردد التاريخ بينه وبين نفسه:

- لو أن صفوان وعى جيداً موقف الرسول ﷺ، ساعة دخل مكة إذ سمع بما قاله الصحابي الجليل(سعد بن عباده)، رضي اللّه عنه، حامل لواء المسلمين:

- اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل اللّه قريشاً.

فما كان من الرسول ﷺ إلا أن أخذ الراية من سعد، رضي اللّه عنه، وأعطاها لابنه قيس في إشارة تحمل الكثير من معاني الرحمة والتقدير.

حتى في أحلك لحظات محنة صفوان كان التاريخ الذي يشاهد يعلم أن هناك فرجاً سيدركه من قبل محمد ﷺ، وأتباعه، رضي اللّه عنهم، فما كانوا ليشمتوا في أحد أو يتسببوا له ولو في أقل القليل من الضرر، حاشا للّه تعالى!.

- قال عمير لصفوان في هدوء بالغ وحنو رفيق:

- يا صفوان فداك أبي وأمي، اللّه اللّه في نفسك أن تهلكها فهذا أمان رسول اللّه ﷺ، قدجئتك به.

دقق صفوان أكثر في القادم واستعاد كلماته، إنه ليلمح الصدق واضحاً جلياً في نبرة صوته وبين طيات حروف كلماته، بل إن كل حرف منها ليبين عمق حب الخير له، ولكنه.. ولكنه يستشعر المشكلة داخل نفسه هو، إنه لا يكاد يصدق أن يأتيه العفو من الرسول ﷺ، بعد كل ما فعله.

قال صفوان:

- ويحك اغرب عني فلا تكلمني. همس التاريخ للمدى من حوله: - أحب تذكر هذا الموقف حينما أرى غدر البشر، إذ أشاهد النقيض تماماً، فهاهو محمد بن عبد الله ﷺ، أحب البشر إلى ربهم، سبحانه وتعالى، إذ ينصره المولى تعالى على أعدائه الذين حاربوه طيلة عشرين عاماً إن لم تزد، هاهو ذا حريص على هدايتهم وعدم إهدار دمائهم، يأتيه عمير بن وهب قبل خروجه في طلب صفوان ليقول له:

- يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر، فأمنه صلى الله عليك وسلم.

ولأنه ﷺ، ليس لديه من هدف أجل من هداية البشر سوى إرضاء خالقه وخالقهم الله تعالى فقد قال له:

- هو آمن.

هنا يستكمل عمير بن وهب كلماته لأنه يعرف صاحبه صفوان بن أمية جيداً، بل لإنه يعرف أن أي إنسان في مكانه لا يمكنه أن يصدق أن يعفو الرسول ﷺ، عن صفوان بعدما فعل، إنه ليس من عمل البشر ذلك العفو بل إنه لا يصدر إلا عن الرسول العظيم ﷺ، لذلك يقول عمير:

- فاعطني آية يعرف بها أمانك.

فيعطيه الرسول ﷺ عمامته التي دخل مكة بها دليل أمان:

- بل يالها من عظمة ليت البشر من بعد محمد ﷺ ،يتحلون ببعضٍ منها.

****

وحينما لمح عمير في كلمات صفوان أنه خائف على نفسه، وهو ما صرح صفوان به بعد قليل، حينها لحق عميربصفوان عند البحر الأحمر طالباً منه العودة وعدم الخوف، ورد عليه صفوان غير مصدق، لا لشيئ إلا لشعوره

بعظم ما قدم هنا يقول عمير:

- أي صفوان، فداك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك. إنه ليذكّره بما كان بينهما من صداقة، وبأنه لا يريد به إلا الخير، وهل خير من أن يقدم على رسول الله ﷺ، ويزيد عمير في رفق وحنو بالغين مذكراً صفوان بما يمتاز الرسول ﷺ، به عن جدارة فهو أفضل الناس وأبرهم وأحلمهم، فلن يرى منه إلا كل خير، وهذا ما يحمله ﷺ للبشرية كلها، ثم يروح يذكره بما بينه وبين الرسول ﷺ، من صلة. وهنا باح له صفوان بحقيقة نفسه:

- فإني أخافه على نفسي.

التفت التاريخ للكون المستمتع قائلاً: حدثت ما بين ربوعك هذه القصة العطرة وكنت شاهداً عليها وهل أكثر عطراً من أن تنسب لمحمد ﷺ، وأتباعه، رضوان الله عليهم، فيما يتفانون لتحبيب الهداية لقلب واحد من معاصريه مهما فعل من قبل، إنها العظمة في أعز صورها...، فماذا عمن يضحون بالأبرياء في سبيل الحفاظ على أوهامهم؟

قال عمير مطمئناً له وواصفاً الرسول ﷺ:

- هو أحلم من ذاك وأكرم... هاهو صفوان يعود مع وهب نفس الطريق ولكن الخوف يكاد يتبدد من نفسه إذ يثق في كلمات صديقه، وإن كان الخوف يعاوده من حين لآخر فيقفز أمامه كبعض ظله، صغيراً لكنه يتمادى في الظهور حتى ليخيفه، ولكن الطريق يقصر.. ولكن ما باله يستشعر الأمان في طيات قلبه كلما دنا من مكة ويتضاءل عظيم خوفه.

وقدم عمير وصفوان مكة فيما رسول الله يؤم الصحابة مصلياً العصر به، فأعجب صفوان بهيئتهم وهدوئهم فسأل عمير عن عدد الصلوات في اليوم والليلة، وهل يؤم الرسول ﷺ، المسلمين في كل صلاة منها، إنه الإيمان

بردائه العطر الشفاف وقد بشرع في ملامسة قلب صفوان، ومن الناس من يأتيهم الإيمان العميق لكنه يأخذ وقتاً حتى تتشربه القلوب ليصير غذاء يقينها...

وما إن فرغ الرسول ﷺ من الصلاة حتى انبرى صفوان قائلاً:

- إن هذا يقول إنك قد أَمَّنتني.

ويشير إلى عمير بن وهب فيما هو يتحدث أمام جمع من الصحابة، فما هي إلا برهة قصيرة من عمر الزمن طويلة على نفس صفوان إذ تنفرج شفتي الرسول بالرحمة:

- صدق.

يهتف التاريخ وهل من صدق كصدق محمد ﷺ، وأتباعه، رضي الله عنهم ، ويبقى صفوان مخيراً بين الدخول في الإسلام أو البقاء على شركه لا شهرين، كما طلب، بل أربعة أشهر كما زاده الرسول العظيم ﷺ.وتنمو شجرة الإيمان المباركة في نفس صفوان بسرعة هائلة وهو يروح ويغدو في أمن شديد بين الصحابة لا يوقفه أحد ولا يسأله أحد، بل حينما يطلب النبيﷺ، أمراً يعلمه أنه إنما يطلبه منه على سبيل التخيير لا الإجبار، وحاشا للرسول الكريم أن يفعل.

وحينما أبصر كرم الرسول ﷺ، عقب غزوة حنين إذ وهبه غنماً وإبلاً ما بين جبلين... حينها نفذ الإيمان إلى حنايا قلبه ليقول الكلمة الخالدة التي يشهد التاريخ أنه سطرها في أنصع المواضع من سجلاته إلى جوار رائع الكلم من أقوال الصحابة الكرام بعد كلمات الله تعالى وآياته وحاديث رسوله العظيم ﷺ:

- ما طابت نفس أحد بهذا إلا رسول.

وبقي مجاهداً مؤمناً صلباً بين صفوف المسلمين حريصا على أمور دينه ورواية الأحاديث عن الرسول ﷺ، كما كان حريصاً على الجهاد في سبيل الله تعالى حتى توفاه عز وجل سنة اثنتين وأربعين للهجرة في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما وعن سائر صحابة الرحمة المهداة.



القصة الثانية عشر

حب الرُّمان

حب الرُّمان

كنا صغاراً،

لم نكن بالغي النقاء والاخضرار والرغبة في التماهي مع الحياة والذوبان في أعماق روحها البهية، فحسب، بل كنا كلنا طراوة وسذاجة، طقوس اليوم هي .. هي كل يوم، لَمَّا يأتي أبي من العمل كل عصر، وهو يخلع الجورب يروي لأمي عن حب الأنانية لدى بعض البشر بلا وازع أو رادع، كنا نسحب أعيننا بصعوبة من فرجة الباب، كنا ننظر إلى أبي بمزيد من الخفر والحياء، والحب اللامتناهي.. وفي الوقت نفسه.. عدم القدرة على التصديق، ونحمد الله تعالى أن أبي لم يفطن إلى نظراتنا هذه، ولو لمرة واحدة مع تكرار الحدث عشرات المرات..

كان البشر، كما تخيل إلينا أعيننا أناسا عبارة عن صفحات بيضاء نستطيع أن نكتب عليها كل ما يعن لنا، ولا داعي هنا إلى الشجار، فليذهب المال في داهية حينئذ وما يقرب إليه، ولتبق طراوة قلوبنا ونداوتها ، ولكن ما العمل وأبي، رحمه الله بالغ الطيبة، بالغ المسالمة هو من يقوم بالشكوى من هذا الأمر؟

ظل السؤال بأعيننا، لا بقلوبنا أو أذهاننا فقط، لسنوات بالغة الطول..

ومرة بعد مرة تطور الأمر لدي ولدى إخوتي...

صرنا نترك أبي يدخل من الباب، براحته، ويخلع جوربه تمهيداً لتخليه عن فرجة الباب المفتوح كي يغير ملابسه.

بعدها كنا نهرول نحو الورقة التي لف بداخلها فاكهة .. نتحسسها أولاً ثم نأكل منها بحذر إلى حين تناولنا الطعام ثم الإذن الرسمي من أمي بالهجوم على اللفافة ومن ثم غسيل الفاكهة وتناولها..

في ذلك اليوم، لم نستطع التعرف إلى الفاكهة الجديدة علينا:

ثمار مدورة شبه صلبة لها عنق صغير جداً، من أين تفتح؟ لم نعرف.. هرولنا إلى السكين فلم ننجح في شق بطنها به.

بعد الغذاء داعبتنا أمي قائلة:

- تركتم فاكهة اليوم على حالها .. أليس كذلك؟

- نعم.. ولكن ما اسمها؟

- إنه الرمان..

فتحت ثمرة ففوجئنا بعشرات الحبات وحبات أخرى مخبأة في قلبها، وأسفل طبقة .. بدت لعيوننا رقيقة أقرب للبلاستيك مقسمة بهندسة فريدة، نظرات عيوننا كانت تقول:

- لو أن أبي أحضر رماناً كل يوم لما استطعنا أكله على أي نحو..

قالت أمي:

- لو حافظتم على كل حبة من هذه الثمرة سوف أجعل لكم مفاجأة لن تنسوها..

المفآجأة كانت طبقاً (جوينا) أو ذا عمق كبير أذابت به بعض السكر في الماء ووضعت فيه عدداً من ثمار الرمان بعض أن بدرت حباتها في الطبق، وسرنا نأكل بالملاعق أو نشرب السكر ونأكل الرمان، تماماً كانت الحبات المُرة كنكهة السكر بالليمون، أما الحبات الحلوة فكانت كالسكر بالسكر، ومن فرط حلاوة الطعمين صارت بعض الحبات تتفلت منا..

قالت أمي:

- لمن لا يترك حبة من فرط الرمان قصر في الجنة، إن شاء الله تعالى..

أي أنَّ قصراً في الجنة لمن يأكل الحبة الأخيرة، إن شاء الله تعالى..

أضافت أمي:

- ولكن لهذه الحبة سر.. إذ قد تختفي من أمام أعينكم حبة.. تختبئ أسفل كرسي فتكون الأخيرة دون أن تدرون..

كنا نبحث طويلاً عن الحبة الأخيرة لليال بعد وجبات الرمان المشبعة، كما نترك وجباتنا من أجل الرمان، ونتحايل على أبي ليحضر لنا الرمان..

وكبر ثلاثتنا ولكنا ما مررنا على بائع فاكهة لديه رمان إلا واشتهينا يوماً من أيام فرط الرمان ونحن صغار..

أو بحثاً عن الحبة الأخيرة منها لنعذر صغار الفقراء، كما بينت أمي آنذاك.

وصرتُ أشتهي الرمان، إذ ما قُدِّرَ لي أن أراه مرصوصًا في شموخ على فُرُشِ الباعة!.. فأشتريه لأستعيد ذكريات البيت وطقوس شق الرمان وتفريطه وإذابة السكر معه في ماء مثلج - كما كان يحلو لأمي أن تفعل وتقدم الطبق الأشهى لأبي فيتركه لنا إيثارًا.. فتتناوله من يده برضى وامتنان وسعادة وعرفان...

أما حبة الجنة الأخيرة، بمشيئة الله تعالى:

فللأسف نسيناها تماماً لما علمنا طرقاً كثيرة عدة لدخول الجنة ...، نحاول اقتفاء آثار بعضها ، ونتذوق حلاوتها مثلما نتذوق حلاوة حبات الرمان...



القصة الثالثة عشر

مرض لا يرجى شفاؤه

مرض لا يرجى شفاؤه

كنتُ عائداً من رحلة العمل اليومية المضنية أبتغي دقائق مركزة من الراحة وتناول الطعام مع الصغار قبل الخلود إلى النوم حتى حين، إذ ودعتُ صغاري صباحاً وعدتُ الآن بعد صلاة العصر، ولكني ما إن وضعتُ قدمي داخل الشقة حتى قالت زوجي:

معذرة! ولكن أتمنى قبل أن تخلع حذاءك أن تستمع إليَّ فالأمر جد خطير..

طافت في ذهني أمور كثيرة سألتُ الله تعالى اللطف والسلامة منها، وطاف خيالي فيما طاف بصديقي وجاري خالد المقيم في نفس البناية، مرت برهة حدثني قلبي بوضوح أن الأمر يخص الأخير بالفعل قلتُ:

أهو أبو سيف؟

أومأت زوجي برأسها في هدوء.. فهي صديقة زوجه منذ انتقلنا للسكنى أسفلهما منذ قرابة العام.

كسا الألم ملامحي وفكرتُ قليلاً فيما كنتُ استدير:

سأستمع ما لديك بعد عيادته بإذن الله تعالى..

فيما كنتُ أصعد السلم راح ذهني يستعرض تاريخ معرفتي به، لقيتُه في واحدة من أطهر بقاع العاصمة.. في المسجد، ولفت نظري بوداعته وهدوئه الشديد، وفي نفس الوقت برأيه المحبذ للحزم في عدد من أمور الحياة التي تجري من حولنا، وكثيراً ما صافحني في لطف هامساً:

رأيك ليس من رأيي أعلم؟

لكن الأمر لا يفسد محبتنا في الله تعالى..

أدامها الله وجمعنا في مستقر رحمتنا..

بعد أيام لمحتُه يناقش الإمام الشيخ هادي ويبتسمان فابتسمتُ لهما لكن حيرتنا وآلمتنا كلمات خالد:

بالله عليكما أدعوا الله تعالى لي! قدماي تؤلمانني على نحو لم أعهده..

بعد مضيه علمتُ من الإمام أنه أصيب بمرض لم يصل الطب لعلاجه بعد في صدره فلم يكد يستأصل خلاياه الغازية لجسده حتى استفحل في مناطق أخرى وهو مؤخراً يؤلم قدميه ولم يفلح معه حتى العلاج الكيميائي.

أستأذنتُ خالداً هاتفياً في الزيارة فأذن لي، فتح وليد ابنه الباب إذ لم يعد يستطيع التحرك بعد أيام قليلة من طلبه الدعاء، ضغط الورم، الذي لا أقول خبيثاً، كما يقول البعض، بل الذي قدره الله له، ضغط الورم على عصب العمود الفقري فأقعده عن الحركة بقدميه؛ فاستخدم الكرسي المتحرك ولطف الله به إذ تكفلت الشركة التي كان يعمل بها بإرسال راتبه لأسرته، ولأنه قليل، بعد خصم الحوافز وبدلات الحضور وما شابه، فقد احتلنا على إعانته بفكرة أعجبته وهي عمل صندوق تكافل للبناية يدفع فيه مثلما ندفع ويأخذ منه ثم ألححنا على زوجه، عن طريق زوجاتنا، كي تأخذ ما يتجمع فيه دون أن يدري، وقبلت الأمر بعد حين طويل واعتذار مُرمنها، همس سيف بحذر:

لقد غبت كثيراً عنه اليوم يا عمي..

إنها مشاغل العمل معذرة يا بني ماذا في الأمر؟

د نبيل زاره عارضاً عليه تركيبة دواء جديدة قبل الأشعة والتحاليل التي ينوي أبي إجراءاها بعد قرابة الأسبوعين فقط.. وطبعاً الدفع من صندوق التكافل..

إنه طبيب الأعشاب المُصلي الصديق الذي لا نعرفه شخصياً إذ لا يقيم بحينا كله لكن أحدهم عرفنا به قلتُ لوليد ذي الثلاثة عشر عاماً:

وبالطبع ما تزال هناك أربع جرعات لم يتناولها أبوك بعد من تركيب الدكتور..

نعم..

رفض الطبيب الأصلي المشهور إكمال علاج صديقي بالمواد الكيميائية أياً ما تكون، ولم نجد من يتصدى لعلاجه حتى جاء د نبيل، وتفاءل المريض بالعلاج بالأعشاب، خاصة لما قال طبيبه له أنه سيسير على قدميه إن ألتزم به، وشهر بعد آخر لم يحدث التطور فيما زادت الجرعات التي تنتظر تناول أخي في الله المريض بها، واليوم يبدو أن نبيل أكثر على خالد القول ليقنعه بعلاج جديد وألح إلى أن الصندوق، قاصداً صندوق التكافل، هو من سيدفع فثارت كرامة الأخير، ورجوتُ الله ألا يكون قد فهم أننا لا نأخذ شيئاً منه لصندوق التكافل:

خيراً أخي العزيز؟

أخي الفاضل أنت تدرك مقدار محبتي لكم!

في سري دعوتُ الله تعالى ألا يكون نبيل قد خالف اسمه، وهو الطبيب، فأوعز للأخير أنه لا يدفع شيئاً، فالرجل مريض طريح الفراش لا يستطيع الحركة... فمجرد إيلامه جريمة في نظر من يشعرون.

ونحن، يعلم الله، نحبك في الله..

تمتم في سره فحمدت الله تعالى أن ابتسم ثم قال بعد حين فيما كانت الدموع تنساب من عينيه:

ربما لا يعرف د نبيل أني آخذ التركيبات التي يعدها لي محبة فيكم وفي حسكم الرقيق معي؛ لكن أن يطلب أخذ مال من الصندوق الذي نشارك فيه لعلاج جديد كنا قد اتفقنا ألا يجيىء إلا بعد التحاليل المنتظرة فهذا في نظري ما.. لا ..

فيما كانت دموع أعيننا تمتزج كنتُ ألوم بشدة مَنْ عرفنا على نبيل على أنه إنسان قبل أن يكون طبيباً بل مسلماً ... فيما هو ينبري مقابل بضعة جنيهات أو مئات في الضغط والإلحاح على الرجل دون مبرر، أما ما نطق به أبو سيف فقد كان آخر ما كنتُ أتوقع سماعه منه في موقفي ذلك:

هل يظن الدكتور نبيل أن مرضي لا شفاء منه؟!

بل إذا أذن اللّٰه تعالى فسأشفى ولو عاند أطباء العالم كله وكيميائيوه وغيرهم..

ولكن خيبة أملي في محبتي لواحد من أخلص إخواني .. أو هو ..

هو، من أسف، المرض الحقيقي الذي لا براء لي منه!.



القصة الرابعة عشر

تَعارفُ مُحبينِ

تَعارفُ مُحبينِ

احترتُ في فهم معنى كلماته في البداية، فمن بين زحام البنك الظاهر والمستتر؛ حيث لا نقف طوابير في انتظار دورنا لإنجاز معاملة مع الموظف القابع خلف زجاج مُؤَمَّن أو غير قابل لنفاذ الرصاص أو الكسر؛ بل ننتظر جالسين على كراسي متجاورة في صفوف متراصة تكاد تفقد معنى البشرية فيها..

الجميع شبه غرباء عن بعضهم، إن لم يكونوا كذلك بالفعل، إذ إن عدد الحضور أكثر بكثير من عدد الكراسي؛ فما أن يقوم أحدهم حتى يستولي غيره على مكانه، ولو كان شيخاً كبيراً أو امرأة ولو مسنة، معنى الرحمة في الأماكن المزدحمة لأغراض استهلاكية أو حتى خدمية استهلاكية... معنى الرحمة والشفقة هنا معنى مفقود إلا ما رحم ربي تعالى...

في خضم الزحام والجلبة والحراك في المكان الضيق من قبل العشرات.. إن لم يك المئات، يكاد يكون كل قادم يلامس كتفي الرائح أو الذاهب، إن لم يصطدم به، في خضم هرولة الجميع والأصوات العالية المتداخلة حتى ما يكاد أحدنا يستمع إلى رد الآخر عليه إلا بصعوبة، ولو كان إلقاءً عابراً للسلام، وفي ظل أجواء عدم الأمان، حتى إن البعض ليخبئ الأموال التي يسحبها في أكياس بالغة الرخص أو أماكن غريبة من ثيابه، وفي ظل وجود موظفين بثياب مدنية يسيرون بين الجالسين للتأكد من عدم وجود مندسين، مع موظفين آخرين بالملابس المعتادة، في ظل أكثر من ثلاث ساعات من الانتظار المضني.

كان يناولني بطاقة الرقم الخاصة به تلك التي تعلن اختصار عشرين من المنتظرين قبلي لتجعل دوري مبكراً ساعة على الأقل، إذ إنه جاء قبلي بقرابة الساعة فنال بطاقة الدور المتقدمة عني هذه، لكن لماذا يفعل؟

سألته:

لِمَ؟!

لغته بالغة التكسر، بل يجيد الانتقال من العربية إلى الإنجليزية:

- أحببتُ أن أؤثرك على نفسي خاصة مع كوني طالباً...، كتابي في يدي يمكنني الاستذكار هنا فيه، أما أنت فمسؤول عن بيت ولعلك موظف و...

ظن أنني مشغول بتتبع معاني كلماته ولملمتها إلى جوار بعضها لإتمام فهمها فيما كنت أستعرض رحلة دخولي المصرف ورحلة أخرى أشد طولاً..

حين الدخول تباغتك مادية الحياة بصورة بالغة الفجاجة وتهتف النفس بك:

أو لأن معاملتك نقية من الربا تظن أنك ستجد ما تريد في أقصر مدة ممكنة؛ هاهنا عدد كبير جداً من أمثالك يخشون اللصوص في البيوت فلا يضعون أموالهم في البيوت؛ هؤلاء كثيرون في ظل أجواء من الحذر الشديد أثمرت عنها حضارة القرن الحادي والعشرين أو القرن الذي بلا قلب كما قال أحد المفكرين الصادقين..

موظفان لدى الباب أحدهما يسد البوابة الإلكترونية، ربما للتفتيش الذاتي إذا لزم الأمر، ليتم التأكد من عدم وجود سلاح أو ما شابه ما بين طيات ثياب أحد الداخلين، إنني هنا في دولة غريبة عن وطننا الإسلامي، وإن لم تخل من مسلمين، استباحة مكان عام وأرواح من فيه أمر بالغ اليسر في القرن الحادي والعشرين وسط أنهار المواد والقوانين المتحدثة عن حقوق الإنسان وحرمة جرح أصبع قدمه الصغير...

المنتظرون على الكراسي أمام القادم وخلفه وعن يمينه ويساره لا عدد لهم... هاهي الحضارة المادية تثمر مثالاً بالغ الضرواة لعدد الذين لا يستطيعون إبقاء المال في جيوبهم أو حتى في بيوتهم، والجميع يراجع حسابه

كل آن، فيما الأمان مفتقد حتى داخل البنك نفسه المكلف بحفظ كل هذه الودائع لآلاف البشر من مختلف الجنسيات والألوان، فيما الموظف الأول في الاستقبال يسأل الداخل عن سبب تشريفه للمصرف يقوم الثاني بمناولته بطاقة بالرقم المناسب لمعاملته، وعند الاستقبال كان عبد الله الأفغاني مجاوري يتأكد من ورود تحويل من أبيه وابتسم وغادر المكان، فيبدو أنه كان يأخذ دورة أوسع من دورتي للتثبت من ورود الحوالة ورقمها وما شابه.

ابتسمت في وجه عبد الله أكثر، ففي بلادي مثله موجود وربما بوفرة، لكن وهنا وفي بلاد أخرى زرتها ومدن تعلق قلبي بها كان من النادر أن أحصل على قلب نقي كقلب أخي عبد الله، بخاصة إذا ما كنت لا أعرف صاحبه، ابتسمت ثم ضممت البطاقة الخاصة به إلي قلبي في علامة على الحبور الزائد، وتخيلت لو أن حال جميع المسلمين كان على هذا النحو من الأخلاق والرفعة والتسامي الشعوري بالتأكيد لن يحتاج الأمر مجيىء هذا العدد للمصرف، فضلاً عن الشعور المتنامي بالغربة في النفوس، سلوك أخي الشاب الجميل عبد الله يلغي كل هذا خاصة إذا ما تنامى وتم استثماره في المجتمعات المختلفة...

قلت له أخيراً:

بل إنني لأعتز بمبادرتك الكريمة هذه ويسعدني البقاء معك لأطول مدة من الوقت لكن اسمح لي لا يمكنني أن آخذ بطاقتك هذه لأنها جزء ثمين من عمرك لا يحق لي اقتطاعه، لكن إن أحببت البقاء معي لوقت أطول بعد إنهاء معاملتك فإنني في انتظارك بفرحة شديدة.

ابتسم في عذوبة قائلاً:

إذن أنهي معاملتي وأعود إليك.

في انتظار دوره أراني صورة أبيه الذي يعمل في مجال إعلامي، واستأذنني

في مراسلته وإخباره عني إن احتاج للتواصل معي، حدثني عن غربته وافتقاده الصالحين بل دعاني إلى زيارته في مسكنه المستأجر غير بعيد عن مكاننا فيما راح ذهني يعمل بقسوة: كم من القضايا في العالم المثقل بالظلم والمعاناة يمكن حلها بثقة مثل هذه متبادلة بين طرفي النزاع؟ بل كم من قاض يرتاح إذا أحبت النفوس بعضها بعضاً على هذا النحو؟ إذا ما كان ديننا يحمل كل هذا الكم من الأجر للمتحابين في جلال اللّه تعالى وإن لم يكونا يعرفان بعضيهما فماذا عن الجيران المتخاصمين لعقود بل الإخوة من أبناء نفس الأب والأم، وهلم جراً.

أدام اللّه محبتنا فيه..

أخذ عنواني ورقم هاتفي وصافحني فخلت ذنوبي تحاتت بالفعل أو تساقطت كما قال الرسول ﷺ، وفيما كان يستدير كنت أرد سلامه مُؤَمّناً على دعائه ومضيفاً:

وبسط هذه المحبة على ربوع العالم كله... لا وطننا الإسلامي فحسب.



القصة الخامسة عشر

نظرة أسى

نظرة أسى

تعجب الضابط المسؤول عن المفقودات في حديقة الحيوان الكبرى من نظرات الملامة التي ألقتها عليه امرأةٌ ومضت...

فبرغم استجابته لرغبتها بعدم تحرير محضر بالحادثة الأمر الذي أعفاها من المثول بثيابها الفضفاضة وحجابها المنسدل أمام النيابة ثم المحكمة بعد حين... همس لنفسه في تأفُّف:

- ماذا كانت تنتظر مني أكثر؟

أم إنها مثل بقية الناس تأخذ مصلحتها ثم تعلن تأففها وضيقها..

كانت قد خرجت بصغارها الثلاثة مع أختها لحديقة الحيوان في استجابة متأخرة لرغبة الأطفال الخمسة في التنزه، خاصة مع كون إجازة منتصف العام قد أوشكت على الانقضاء، وسيضطر الصغار للانتظار أكثر من مائة وخمسين يوماً؛ هي أكثر من دهر لكي يعيدوا طرح الفكرة على الأختين اللتين هما والدتاهما، أما والد إحدى الأختين فمريض مرضاً لا تصعب الحياة معه ولكن يصعب خروجه لمنتزه عام في حديقة مثل هذه، إذ أسلمته أقدار الله إلى انكفاف بصره، ومع هذا لا يمانع في خروج صغاره للتنزه مع أمهم بدونه طالما كانت الأجواء المحيطة آمنة، وأما زوج الأخت الأخرى فقد ضاقت عليه سبل العيش لكلمة حق قالها في جنب صاحب نفوذ إبانها في بلده لذا خرج بعد تضييق سبل العيش عليه قائلاً:

سأخرج حتى حين..

حملتا همومهما وجاءتا مع الصغار للتنزه أو تنزيههم عن فيض المشكلات اللاتي يعشنها.. فما راعهما بعد أن تمت النزهة نسبيًّا بسلام، إذ إنَّ صغرى الأطفال (دعاء) ليست بينهم..

ما الأمر إذًا؟

أهي متخلفة قليلاً كعادتها تلعب بالنجيل في الخلف؟

ليست كذلك؟

أتكون قد ذهبت لدورة المياه؟

لا تعرف الطريق ولِمَ لم تطلب منا؟

إذن فهل انشقت الأرض وابتلعتها؟

انقسمتا إلى فريقين مع كل واحدة طفلان، مهمتهما التنقيب عنها في نصف الحديقة، أما أكبر الأختين سناً فقد أخذت النصف الخاص بالأبواب من الحديقة من نصيبها، وراحت توصي الأمن المكلف بالأبواب ألا يخرج أحد بطفلة اسمها (دعاء) فلما هز الرجل رأسه مستغرباً إذ إن اسم الطفلة ليس مكتوباً على قسمات وجهها، راحت تصف ملابسها لها، أما الأم فقد راحت ملتاعة تسأل كل أسرة فيها امرأة:

ألم تري طفلة لم تجاوز السنوات الخمس ترتدي ثياباً حمراء وشعرها قصير؟

وفيما كان الجميع ينفي لها كان أملها يزداد في كونها ستجدها على كل حال بإذن الله تعالى فهو أرحم بها من أن تفقدها للأبد.

مساحة الحديقة تربو على ألف فدان متوزعة بين حديقة للأسماك وحدائق للحيوانات البرية منفصلة عن الطيور عن حيوانات الغابات وهلم جراً، لكن الطفلة لن تستطيع المسير لكل هذه المسافة إذ إن قدميها نحيفتان، تقول نفسها لها، لكن ماذا لو أن أحدهم لاحظ أنها تسير بمفردها فأخذها معه؟

انسابت دمعة من عينيها، أبوها هناك في ديار الغربة ماذا ستقول له، وهل ستحرم من ابنتها لأنها أرادت أن تلبي رغبتها في التنزه، بكت بشدة

وهي تدعو بداخل فؤادها:

يارب وحدك العالم بحالي غني عن سؤالي.. بفضلك وجاهك أعدها إلي يا كريم.

في نفس اللحظة توقفت امرأة في تأمل شديد قائلة:

هل تبحثين عن ابنتك الصغيرة يا ابنتي اسمها هدى؟

هتفت الأم كمن وجد طرف خيط في فلاة فيما هو يقاسي العطش والجوع والتيه:

تقصدين دعاء ترتدي ملابس حمراء وشعرها قصير بربك قولي هي؟

نعم دعاء آسفة أخطأت في الاسم .. هي تبكي لفقدك أيضاً..

أين؟

لا تقلقي... سلمتها إحدى النساء إلى مقر الشرطة منذ ساعة ونيف.

وأين مقر الشرطة؟

كان بكاؤوها قد استحال نحيباً وكذلك طفلاها الآخران وسؤالهما بالغ المرارة كان ينساب على شفتيهما عليلاً منذ قليل فقط.. عن أختيهما.. فتشفق على نفسها وعليهما منه:

هل لن نرى دعاء مرة أخرى؟

بل سأسير معك بنفسي إلى المخفر لا عليك.

هناك هتفت الصغيرة لما رأتها:

أمي كنت أسير خلف أختي شروق بنفس ملابسها فجأة استدارت فأصبحت غيرها ..

بل سامحك اللّه يا ابنتي..

دل أهل الخير الأخت الثانية على وجود ابنة أختها في المخفر فابتسمت وتهاوت على أقرب كرسي لما رأتها.

أما الضابط المسؤول، فصمم على تحرير محضر إهمال للأم، ولم تفلح محاولات أختها في إثنائه عن تصميمه.. فقط صمت لما قالته الأم:

- دعيه يا هناء فنحن مثل أختيه.. وإن لم يكن زوجانا معنا فإن زوجته قد تضطر لمثل هذا الموقف، وهل تهمل ابنتها من خرجت فقط لإسعادها؟

ولما تركهما الضابط تمضيان ما راعه إلا نظرة الأسى في عيني الأم ...، بينما ابنتها دعاء كانت تمعن في القهقهة..



١- الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة.

د. عبد العزيز برغوث.

٢- عينان مطفأتان وقلب بصير (رواية).

د. عبد الله الطنطاوي.

٣- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية.

د. محمد إقبال عروي.

٤- إشكالية المنهج في استثمار السنة النبوية.

د. الطيب برغوث.

٥- ظلال وارفة (مجموعة قصصية) .

د. سعاد الناصر (أم سلمى).

٦- قراءات معرفية في الفكر الأصولي.

د. مصطفى قطب سانو.

٧- من قضايا الإسلام والإعلام بالغرب.

د. عبد الكريم بوفرة.

٨- الخط العربي وحدود المصطلح الفني.

د. إدهام محمد حنش.

٩- الاختيار الفقهي وإشكالية تجديد الفقه الإسلامي.

د. محمود النجيري.

١٠- ملامح تطبيقية في منهج الإسلام الحضاري.

د. محمد كمال حسن.

١١- العمران والبنيان في منظور الإسلام.

د. يحيى وزيري.

١٢- تأمل واعتبار: قراءة في حكايات أندلسية.

د. عبد الرحمن الحجي.

١٣- ومنها تتفجر الأنهار (ديوان شعر).

الشاعرة أمينة المريني.

١٤- الطريق... من هنا.

الشيخ محمد الغزالي

١٥- خطاب الحداثة: قراءة نقدية.

د. حميد سمير

١٦- العودة إلى الصفصاف (مجموعة قصصية لليافعين).

أ. فريد محمد معوض

١٧- ارتسامات في بناء الذات.

د. محمد بن إبراهيم الحمد

١٨- هو وهي: قصة الرجل والمرأة في القرآن الكريم.

د. عودة خليل أبو عودة

١٩- التصرفات المالية للمرأة في الفقه الإسلامي.

د. ثـريـة أقصـري ————————

٢٠- إشكالية تأصيل الرؤية الإسلامة في النقد والإبداع.

د. عمر أحمد بو قرورة ————————

٢١- ملامح الرؤية الوسطية في المنهج الفقهي.

د. أبو أمامة نوار بن الشلي ————————

٢٢- أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة.

د. حلمي محمد القاعود ————————

٢٣- جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي واليابان.

أ. د. سمير عبد الحميد نوح ————————

٢٤- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية.

د. أحمد الريسوني ————————

٢٥- المرتكزات البيانية في فهم النصوص الشرعية.

د. نجم الدين قادر كريم الزنكي ————————

٢٦- معالم منهجية في تأصيل مفهوم الأدب الإسلامي.

د. حسن الأمراني ————————

د. محمد إقبال عروي ————————

٢٧- إمام الحكمة (رواية).

الروائي/ عبد الباقي يوسف ————————

٢٨- بناء اقتصاديات الأسرة على قيم الاقتصاد الإسلامي.

أ. د. عبد الحميد محمود البعلي

٢٩- إنما أنت... بلسم (ديوان شعر).

الشاعر محمود مفلح

٣٠- نظرية العقد في الشريعة الإسلامية.

د. محمد الحبيب التجكاني

٣١- محمد ﷺ ملهم الشعراء.

أ. طلال العامر

٣٢- نحو تربية مالية أسرية راشدة.

د. أشرف محمد دوابه

٣٣- جماليات تصوير الحركة في القرآن الكريم .

د. حكمت صالح

٣٤- الفكر المقاصدي وتطبيقاته في السياسة الشرعية.

د. عبد الرحمن العضراوي

٣٥- السنابل... (ديوان شعر).

أ. محيي الدين عطية

٣٦- نظرات في أصول الفقه.

د. أحمد محمد كنعان

٣٧- القراءات المفسرة ودورها في توجيه معاني الآيات القرآنية.

د. عبد الهادي دحاني

٣٨- شعر أبي طالب في نصرة النبي ﷺ.

د. محمد عبد الحميد سالم

٣٩- أثر اللغة في الاستنباطات الشرعية.

د. حمدي بخيت عمران

٤٠- رؤية نقدية في أزمة الأموال غير الحقيقية.

أ.د. موسى العرباني

د. ناصر يوسف

٤١- مرافىء اليقين (ديوان شعر).

الشاعر يس الفيل

٤٢- مسائل في علوم القرآن.

د. عبد الغفور مصطفى جعفر

٤٣- التأصيل الشرعي للتعامل مع غير المسلمين.

د. مصطفى بن حمزة

٤٤- في مدارج الحكة (ديوان شعر).

الشاعر وحيد الدهشان

٤٥- أحاديث فضائل سور القرآن: دراسة نقدية حديثية.

________________ د. فاطمة خديد

٤٦- في ميـــزان الإسـلام.

________________ د. عبد الحليم عويس

٤٧- النظر المصلحي عند الأصوليين.

________________ د. مصطفى قرطاح

٤٨- دراسات في الأدب الإسلامي.

________________ د. جابر قميحة

٤٩- القيمُ الروحيّة في الإسلام.

________________ د. محمّد حلمي عبد الوهّاب

٥٠- تـلاميـذ النبـوة (ديوان شعر).

________________ الشاعر عبد الرحمن العشماوي

٥١- أسماء السور ودورها في صناعة النهضة الجامعة.

________________ د. فـؤاد البنـا

٥٢- الأسرة بين العدل والفضل.

________________ د. فريد شكري

٥٣- هي القدس... (ديوان شعر).

________________ الشاعرة: نبيلة الخطيب

٦٣- التراث العمراني للمدينة الإسلامية.

د. خالد عزب

٦٤- فراشات مكة... دعوها تحلق.. (رواية).

الروائية/ زبيدة هرماس

٦٥- مباحث في فقه لغة القرآن الكريم.

د. خالد فهمي

د. أشرف أحمد حافظ

٦٦- محمود محمد شاكر: دراسة في حياته وشعره.

د. أماني حاتم مجدي بسيسو

٦٧- بوح السالكين (ديوان شعر).

الشاعر طلعت المغربي

٦٨- وظيفية مقاصد الشريعة.

د. محمد المنتار

٦٩- علم الأدب الاسلامي.

د. إسماعيل إبراهيم المشهداني

٧٠- الكِتَاب وصنعة التأليف عند الجاحظ.

د. عباس أرحيلة

٧١- وسائلية الفقه وأصوله لتحقيق مقاصد الشريعة.

د. محمد أحمد القياتي محمد

٧٢- التكامل المعرفي بين العلوم.

د. الحسان شهيد

٧٣- الطفولة المبكرة الخصائص والمشكلات.

د. وفقي حامد أبو علي

٧٤- أنا الإنسان (ديوان شعر).

الشاعر يوسف أبو القاسم الشريف

٧٥- مسار التعريف بالإسلام في اللغات الأجنبية.

د. حسن عزوزي

٧٦- أدب الطفل المسلم.. خصوصية التخطيط والإبداع.

د. أحمد مبارك سالم

٧٧- التغيير بالقراءة.

د. أحمد عيساوي

٧٨- ثقافة السلام بين التأصيل والتحصيل.

د. محمد الناصري

٧٩- ويزهر السعد (ديوان شعر).

الشاعر محمد توكلنا

٨٠- فقه البيان النبوي.

أ. محمد بن داود سماروه

٨١- المقاصد الشرعية للوقف الإسلامي.

د. الحسن تركوي

٨٢- الحوار في الإسلام منهج وثقافة.

أ. د. ياسر أحمد الشمالي

٨٣- أسس النظام الاجتماعي في الإسلام.

د. عبد الحميد عيد عوض

٨٤- حروف الإبحار (ديوان شعر).

الشاعر عصام الغزالي

٨٥- معالم منهجية في تجديد خطاب الفقه وأصوله.

د. مسعود صبري

٨٦- قبسات من حضارة التوحيد والرحمة.

أ. ممدوح الشيخ

٨٧- لقاء قريب (رواية).

الروائية مياسة علي النخلاني

٨٨- مقاصد الشريعة بين البسط والقبض.

د. محمد بولوز

٨٩- مدائن الصحوِ (ديوان شعر).

الشاعر محيي الدين صالح

٩٠- الفن والجمال من النزوع الشكلاني إلى التأصيل الرسالي.

________________ د. عبد الجبار البودالي

٩١- دوائر الحياة (مجموعة قصصية).

________________ أ. ماجدة شحاتة

٩٢- علم أصول الفقه ودوره في خدمة الدعوة.

________________ د. عبد الرؤوف مفضي خرابشة

٩٣- مواسم الخصب (ديوان شعر).

________________ الشاعر محمد يونس

٩٤- مفهوم التصديق والهيمنة في القرآن الكريم.

________________ د. نعيمة لبداوي

٩٥- موطأ الإمام مالك واعتناء العلماء به.

________________ د. محمد عبد الله حيّاني

٩٦- فصول في بيان القرآن الكريم.

________________ د. محمود أحمد الأطرش

٩٧- المسجد النبوي.. وبيوت أمهات المؤمنين.

________________ أ. د. محمد عبد الستار عثمان

٩٨- الخطاب التربوي المتكامل: ابن الجوزي نموذجاً.

________________ د. حسن عبد العال

٩٩- ضوابط البحث العلمي في المنهجية الإسلامية.

د. ناصر دسوقي رمضان

١٠٠- نحو موسوعة للتفسير المرفوع إلى النبي ﷺ.

إعداد فريق البحث في الموسوعة

١٠١- «روافد» مئوية التأصيل والتجديد .

١٠٢- مشارق الأنوار في مدح سيد الأبرار (ديوان شعر).

الشاعر: طَهَ أَحْمَد السَّعدي

١٠٣- ورقات في العلاقة بين المسلمين وغيرهم.

د. عبد الرحمن بوكيلي

١٠٤- الإفتـاء ودراسات المستقبل.

د. عبد الفتاح حسين هَمّام

١٠٥- ألوان في طيف الحياة (مجموعة قصصية).

القَاصّ: محمد ثابت توفيق

نـهــر متعــدد.. مـتـجــدد

هــذا الكتــاب

بدأت مآذن المساجد مشرعة على أعتاب العاصمة، تأملتها ثم تمنيت أن تدوم في سكينة ووقــار، كـمـا تمنـيت أن يُبْنَـي عـدد مـثـلها من المصــانع شريطـة ألا يصــدر عنهـا عمـود من الدخان يؤذي الصغار والكبار، ويسبب مزيداً من الأمراض بخاصة لأبنائنا... أي مظاهر حضارة خداعة تلك التي تصيب مستقبلنا متمثلاً في صغارنا... في الصميم؟



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية
www.islam.gov.kw/thaqafa